

عالم الجن والملائكة

عبدالرزاق نوفل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا خَلَقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ
مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ .

«صدق الله العظيم»

الاهداء

إلى الباحثين عن الإيمان أهديم طريقاً إليه ...

وإلى الباحثين في الإيمان أهديم دليلاً عليه ...

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

(أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ
اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ)

في قفزات سريعة .. واسعة .. تخطي الإنسان حدود الأرض ..
وأصبح على عتبة الفضاء .. يحاول أن يطرق أبواب الكواكب القريبة ..
فلقد أرسل أجهزته ودارت حول القمر ثم استقرت عليه .. وتابعتها
بأخرى إلى كوكب الزهرة .. وكما هبطت هذه الأجهزة .. سيحاول
أن يهبط الإنسان نفسه .. وكل خطوة له في مجال الفضاء احتفل بها
أيما احتفال .. وأقام لها مواكب الفرح وأعياد النصر .. ولا بد أن هذا
النجاح قد أدار .. ولو قليلا .. عقل البشرية .. فاغتر البعض .. وظنوا
أنهم علموا أكثر ما جهلوا .. فلقد أصبح يطلق على هذا الجيل .. جيل
الفضاء .. وعلى هذا العصر .. عصر العلم .. وعلى هذا الزمن .. زمان
المعرفة .. وقال البعض ولمْ لا نبحت في سر الحياة .. بل ولمْ لا نحاول

خلق الحياة .. فهل هذا حقاً .. ؟ .. وهل يمكن للإنسان ذلك ؟ ..
وهل وصل علم الإنسان إلى ما يجعله يفكر في ذلك .. حقاً .. ؟ ..

فياترى كم قدر ما يعرف الإنسان .. وكم قدر ما يجهل .. ؟ ..

لو تدبر الإنسان وتفكر لهالته الحقيقة .. الخيفة ..

إذاً ما أكثر ما يجهله الإنسان .. وما أقل ما يعلمه .. !!

إن الإنسان في عالم نفسه .. لا يعلم عنه إلا قليلاً .. وما يعلمه
إنما هو تعليقاته لما يرى وقد ارتاح إليها .. والله أعلم بحقيقتها .. وأما
ما يجهله فهو الكثير .. إنه يجهل كيف تنقسم الخلية الحية في جسمه ..
إن انقسامها دليل تغذيتها ثم نموها .. فأين فضلات ما تغذت به .. ؟
وهل هى تأخذ ما يلزم لنموها دون زيادة أو إسراف بحيث لا يتبقى منه
أى أثر .. ؟ .. وكيف يختلف عمل الخلايا .. وتباين وظائفها .. بل
تتغير أشكالها .. رغم أنها كلها من خلية واحدة .. فالبعض تكون
العظام .. وأخرى تكون الدم .. وغيرها تكون الأهداب والجفون ..
وغیرها تكون العضلات والدهون ؟ .. وكيف ولماذا تعصى خلية أو أكثر
أمر التدبير فتقف عن النمو .. أو تفرط فيه .. فتسبب الهلاك لصاحبها .. ؟
وكيف لا يدخل الماء من جلد الإنسان إلى داخله عند استحمامه أو سباحته
وينخرج العرق من داخله .. مخافاً بذلك كل القوانين العامية التى
ثبتت أن المحلول يسير خلال الأغشية من الأقل تركيزاً إلى الأكثر تركيزاً
في محاولة لمعادلته .. فوجب على ذلك أن يدخل كل الماء الذى يلامس

الجسم إل داخله .. وكيف ولماذا تدخل صور الأشياء مقلوبة في العين ثم يعيدها المخ ..؟ عشرات بل مئات من الأسئلة كلها تؤكد جهل الإنسان بعالم نفسه ..

وأما عالم الحيوان .. وعالم النبات .. وعالم الأرض .. فالأمر لاشك أشد .. فإن الإنسان يحرص الحرص كله على أن يبدأ بمعرفة عالم نفسه .. قبل عالم غيره ..

وعالم الفضاء .. فإن الإنسان مازال يكتشف الطريق إليه .. وما أطول الطريق .. وما أبعد السفر ..

إلا أن هناك من العوالم ما تعتبر مجهولة تماماً للإنسان .. فهي ليست من ذات العوالم التي يستطيع أن يصل إليها بأساليبه التي يعرفها .. وهي ليست بالصورة التي يعهدها .. إنها عوالم مجهولة ..

ومن ضمن هذه العوالم المجهولة .. عالم الجن .. وعالم الملائكة ..

وإن العلم إذ بدأ يثبت وجود هذه العوالم فإنه لا سبيل عنده حتى الآن لأن يعرف عنها المزيد .. وإن القرآن الكريم قد تكفل .. سابقاً العلم .. بعشرات المئات من السنين ببيان هذه العوالم .. كما أوضح حقائقها إذ ينقطع طريق العلم عن إدراكها .. أو الوقوف عليها ..

وإذا كان هذا الكتاب (عالم الجن والملائكة) فيما جاء به من الاجتهاد — فالله وحده هو الذي يعلم الأمر كل الأمر — يعتبر دليلاً من عديد على معجزة القرآن الكريم وأنه وحى الله سبحانه وتعالى لرسوله

— ١٠ —

الأمين .. إذ لا علم للبشرية جميعاً على اختلاف أزمنتها واجتماع أجيالها يقارب بعض ما جاء به .. فإن مما يهدف إليه هو بيان بعض مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى في الخلق . . ويشير بإشارة واضحة إلى بعض قدر ملكوت السموات والأرض ، ويعرض صورة سريعة وبسيطة لسعة هذا الكون .. الرهيب .. العميق .. الغريب .. العجيب .. المجهول .. والذي يدل على بعض قدرة خالقه ..

(فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ)

« صدق الله العظيم »

عبد الرزاق نوفل

عالم الجن

إن من أهم ما اكتشفه العلم وتوصل إليه العلماء في ميادين البحوث العلمية التي تختص بالذرة وطاقاتها ومكوناتها وجود عالم غير مرئي تشير إليه الأجهزة العلمية وتؤكد القياسات المعمية . ولكن لا يعرف العلم عنه شيئاً إلا بعض اليسير الذي يزيده غموضاً ويزيد من جهل الناس به إذ كل ما وصل إليه العلم عنه أن هذا العالم تسكنه مخلوقات غير مرئية تتكون من مادة غير المادة التي نعرفها والتي يتكون منها عالمنا المرئي وأن هذه المادة التي يتكون منها سكان العالم غير المرئي علاوة على طبيعتها الخاصة التي تجعلها غير مرئية لنا فإنها ذات حرارة رهيبية لم يمكن بعد معرفة درجتها وأنه أمكن في ظروف معينة التأكد من إشعاعات وأضواء تعتبر أحد صور الطاقة الحرارية المنبعثة من أجسام هذه المخلوقات .

فلقد كان تفتيت الذرة بداية لسلسلة منواصلات من الاكتشافات العلمية وكلها تعتبر أروع وأخطر من تقسيم الذرة نفسها وبعد أن كان المعتقد أنها لا تتجزأ ولا تنقسم إذ أنها تناهت في الصغر إلى حد يفوق كل تصور ويتعد عن كل تخيل .. فحجم الذرة لا يزيد على جزء من عشرة ملايين من المليمتر ، أى أن المليمتر المكعب الذي لا يكاد يرى والذي تبلغ أطواله أقل وحدة قياس نتعامل بها في حياتنا العادية هذا المليمتر يضم عشرة ملايين ذرة .. وانطلقت الطاقة الذرية بتفتيت الذرة .. وكأها المارد الخيالي الذي يداعب أحلام الأطفال

ويرمز إلى قوة تفوق كل ما عرف من قوة فهي تنفذ من الحديد وتغوص في البحار وترفع سيدها إلى أعالي السماء .. وكطبيعة الإنسان الذي دائماً يبحث عن المزيد ولا يقنع بما يصل إليه وإنما يتطلع إلى ما بعد ذلك .. وإلى ما فوق ذلك .. فإنه لم يقتنع بهذه الطاقة الذرية بل اتجه بالبحث إلى حيث يحصل على طاقة أقوى وقوة أشد . وهكذا وصل الإنسان إلى ما يمكن أن يقال بحق إنه أخطر وأعظم ما توصل إليه العقل البشرى . إذ ثبت أن الذرة ليست كما كان يعرف إلى عهد قريب مكونة من النواة التي توجد بها شحنات كهربائية موجبة هي البروتونات وحولها شحنات كهربائية سالبة هي الإلكترونات . وقد توجد هباءات محايدة لاهى سالبة الكهربائية ولاهى موجبة ولكنها متعادلة .. بل إن بها جسيمات أخرى أمكن الوصول إليها وهى مختلفة الوزن والشحنة الكهربائية والحركة والمغناطيسية .. والأغرب والأعجب من ذلك أنها مختلفة في عمرها الواحدة عن الأخرى .. كما اكتشف العلم وجود توائم مضادة لكل جسيم يشبه تماماً في كل خواصه ، إلا أنه يختلف عنه في الشحنة الكهربائية .

ثم أعلن أخيراً أنه قد تمكن العلماء من التوصل إلى إنتاج جسيمات ذرية مضادة للبروتونات من الضوء باستخدام جهاز تحطيم الذرة الذي يسمى الاليكترون سيكروتون . وأعلن البروفسور بيتر شتايلين أحد العلماء الأحد عشر الذين يعملون كفريق واحد في مركز أبحاث الطبيعة الذرية في غرب ألمانيا أنهم استطاعوا إنتاج ثمانية عشر من هذه الجسيمات وهى نويات ذرات الهليوم ذات الشحنة الكهربائية

السالبة . وهذه الجسيمات السالبة عندما ترتطم مع توائمها ذات الشحنة الموجبة تنطلق منها طاقة هائلة تفوق الطاقة الذرية بآلاف المرات ، وصرح شتايلين بأن إنتاج هذه الطاقة الجديدة يتم من توجيه سيل من جسيمات الضوء إلى ذرات الهليوم السائل في مجال كهربائي مغناطيسي طوله خمسة وعشرون متراً باستخدام عدادات للجسيمات وعقل الكتروني . وبذلك أمكن الحصول على الجسيمات المضادة وأمكن فصلها عن باقي مكونات الذرات باستخدام عدادات شيرنيكوف التي تفصل الجسيمات السريعة عن الجسيمات الأقل سرعة وهي المضادة . ثم قرر العلماء أن الجسيمات الموجودة في الذرات تتكون منها المادة المرئية وأن الجسيمات المضادة التي ثبت وجودها هي الأساس لمادة أخرى مرئية .. وهذه الجسيمات المضادة أمكن إنتاجها من الضوء فهي في الطبيعة تتكون من مادة أخرى غير المادة التي يتكون منها العالم الذي نعرفه ونعيش فيه وأنها على درجة حرارة لا يعرف بعد مداها إلا أن الضوء إنما يشير إليها ويدل عليها دون أن يحدد درجتها .

وهكذا يقرر العلم في السنوات الأخيرة من القرن العشرين وبعدها أن اتسعت دائرة العلوم وتقدمت وسائل البحث أنه يوجد في الكون عالم آخر تسكنه مخلوقات من مادة ذات درجة حرارة مرتفعة .. وبذلك فهي مخلوقات من نار ، فهل هو عالم الجن الذي ذكره القرآن الكريم ؟ : فنذ أربعة عشر قرناً من الزمان أورد القرآن الكريم النص الصريح الذي يعلن وجود هذه الكائنات التي خلقت من نار .. بل إن الآيات الشريفة قد أوردت في لفظ مختصر وآية قصيرة كل الحقائق العلمية الخاصة بمادة هذه الكائنات وأوضحت تكوينها وذلك في النص الكريم :

(وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ)

والمارج هو الشعلة الزرقاء التي تنبعث من المادة المشتعلة وتتميز بأنها على أعلى درجة من الحرارة . . . وهى كذلك نار خالية من الدخان فهى بذلك واضحة وهذا أدق وصف علمى وأصدق تعبير عملى يمكن أن يطلق على مادة هذه الكائنات التى يقرر العلم وجودها من مادة ذات درجة حرارة عالية .

وتقول آيات القرآن الكريم عن مادة خلق الجان أيضاً :

(وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ)

ونار السموم هى الحر الشديد الذى ينتج من الحرارة المرتفعة وله خاصية النفاذ من كل المسام .

وأمّا أن هذا العالم بمخلوقاته غير مرئى لنا بطبيعة تكوينه واختلاف مادته عن المادة التى تستجيب لها حواسنا لنراها كما يقول العلم فإن القرآن الكريم قد قرر هذه الحقيقة وذلك فى النص الشريف :

(يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ
أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا
سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ)

وقد ورد في القرآن الكريم لفظ الشيطان كاسم لإبليس وذلك
في مثل النص الشريف :

(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ .
وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا
رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
الظَّالِمِينَ . فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا
كَانَا فِيهِ) .

كما قرر أن إبليس من الجن وذلك في النص الكريم :

(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) .

وأن إبليس خلق كما خلقت الجن من النار وذلك في الآيات الشريفة :

(قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ
بِيَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ . قَالَ أَنَا
خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) .

ولذلك يتردد القول بأن إبليس وجنوده من الشياطين إنما هم الكفرة العصاة من الجن وأما غيرهم فهم الذين يطاق عليهم الجن وإن تفاوتت درجات هدايتهم وطاعتهم .

وهكذا يصل العلم إلى بعض الحقائق الأولية عن مادة خلق الجن التي تتكون من نار ذات درجة حرارة عالية وبلادخان وأن هذه المادة بطبيعتها غير مرئية للعالم الإنساني . وقد سبقه القرآن الكريم بعشرات المثبات من السنين إلى إيراد الحقائق التي أراد الله سبحانه وتعالى أن يعرفها الإنسان عن الجن وعالمه والتي لا يمكن أن يصل إليها العلم لاستحالة إخضاع هذا العالم غير المرئي لوسائل البحث والدرس والفحص . والله أعلم بمراده ومشيثته .

وبذلك فإن كل بحث علمي في عالم الجن إنما يكون ببحث الخصائص العامة للمادة التي خلق منها الجن ويمكن عن طريق الاستنتاج الوصول إلى معرفة بعض ظواهر عالم الجن وخصائصه وصفاته .: وعندما يتأيد هذا الاستنتاج بما أورده القرآن الكريم عن عالم الجن كان ذلك من الحق واليقين الذي يعتمد عليه وأما إذا اختلف عما جاءت به الآيات الشريفة كان الاستنتاج سيئاً والظن خطأ ويجب إعادة البحث فيما تفسر به آيات القرآن الكريم التي أوردت أخبار عالم الجن وأحواله فالقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي جاء بأنباء عالم الجن وتردد ذكره في سور مختلفة بل أورد سورة كاملة عنه سميت باسمه هي سورة الجن إشارة إلى أهمية هذا العالم المجهول وخطورته ووجوب تفكير الإنسان في مخلوقاته والتدبر في شأنه معهم وشأنهم معه .

فالمادة التي خلقت الجن منها وهى النار أقوى أثراً على المواد الأخرى لاسيما مادة خلق العالم المرئى الذى نعيش فيه بما فيه من كائنات حية وعلى رأسها الإنسان وتأثيرها عليها أشد من تأثير مادة الإنسان عليها .. فالنار غالباً أشد أثراً فى الطين من أثر الطين على النار والطين هو المادة التي تتكون من عناصر التراب والتي ثبت بالتحايل أنها تكون جسم الإنسان والنبات والحيوان، بل إن كل ما فى عالمنا هذا إنما يتكون من بعض أو كل عناصر هذا التراب .. وبالتجربة والملاحظة التي لا تحتاج إلى دليل لتأكيدهما فإن النار المعهودة لنا فى حياتنا هذه لها خطورتها على الطين وهى تؤثر فيه تأثيراً بالغاً دون أن يكون للطين نفس الأثر على النار .. وهذا لاشك مما قد يجعل بعض مخلوقات عالم الجن تعتقد أنها أفضل من ناحية التكوين ومن ناحية مادة الخلق من كثير من الكائنات ، بل من كل الكائنات التي خلقت من مادة أقل من النار والتي منها الإنسان نفسه رغم ما فى الإنسان من ميزات أخرى تجعله أفضل .. وهذا ما اعتقده إبليس وهو من الجن إذ عصى ربه عندما خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وطلب من الملائكة أن يطيعوا ما خلق وأن يكونوا مسخرين له وذلك بنص آيات القرآن الكريم :

(إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ . فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ . فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ .

إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ . قَالَ
يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ
أَسْتَكَبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ . قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ
خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) .

وهكذا بدت أهم صفة من صفات مخلوقات عالم الجن ألا وهي
الكبر والاستكبار إلى الدرجة التي جعلت إبليس يفسق عن أمر ربه
بالنص الشريف :

(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) .
بل ويصبح من الكافرين الملعونين الذين لا ترفع عنهم اللعنة إلى
يوم الدين وذلك بنص الآيات الكريمة :

(قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ . وَإِنَّ عَلَيْكَ
الْلَعْنََةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) .

وعالم الجن شأنه كشأن باقي العوالم الأخرى يتكون من أمم
وجماعات . وقد أورد القرآن الكريم الآيات التي تؤكد هذه الحقيقة
وذلك في مثل النص الشريف :

(قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ
الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ) .

ومن طبيعة الجماعات والأمم أن يختلف أفرادها فيما يختلف فيه
الفرد عن الآخر وكشأن كل الأمم تتفاوت درجات من فيها فيوجد
فيها الصالح الأمين والفساد الشرير والمؤمن التقى والنقي والكافر الضال
الشي .. كذلك عالم الجن فيه المؤمنون بالله .. المسلمون له .. الصادقون
في إيمانهم .. الموحدون ذاته .. وفيه إبليس اللعين وجنوده الضالون
المضلون .. وهذا ما يقرره القرآن الكريم في الآيات الشريفة من سورة
الجن فتقول :

(قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا
إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا
بِهِ وَلَكِنْ نُّشْرِكُ بِرَبِّنَا أَحَدًا . وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا
مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا . وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا
عَلَى اللَّهِ شَيْطَانًا . وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ تَقُولَ الْإِنْسُ
وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) .

(وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا
طَرَائِقَ قَدَدًا) .

(وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ
بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا . وَأَنَّا مِنَ الْمُسْلِمِينَ
وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا)

وكما يوجد بين عالم الإنس من يعتبرون شياطين منهم فكذلك
في عالم الجن شياطين منهم وذلك بنص الآية الشريفة :

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ
الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ
الْقَوْلِ غُرُورًا) .

والجن خلقوا كما خلقت الإنس ليعبدوا الله سبحانه وتعالى
فيطيعوه طاعة تامة ولا يعبد الإنس الجن ولا يعبد الجن الإنس كما
لا يعبد الإنسان غيره من الناس ولا يعبد الجن غيره من الشياطين أو الجن
وفي ذلك يقول القرآن الكريم :

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) .

ورحمة من الله سبحانه وتعالى بما خلق سواء من الإنس أو الجن
فقد أرسل جل شأنه الرسل لعالم الجن من بينهم لهدايتهم يبلغونهم
رسالات الله عز شأنه كما أرسل الرسل من بني الإنسان للناس وذلك
بنص القرآن الكريم في الآية الشريفة :

(يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ
يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا
قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ) .

وعالم الجن فيه الذكور وفيه الإناث وبذلك يتأكد تزاوجهم
وتناسلهم وزيادة عددهم وكثرتهم كثرة عديدة ، فقد أوردت آيات
القرآن الكريم ما يفيد وجود رجال من الجن . الأمر الذي يتأكد معه
وجود جنس يخالف ذلك كما جاء في النص الشريف :

(وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ
مِّنَ الْجِنَّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) .

كما أن هناك آيات أخرى تفيد أن الجن تقرب النساء كما يقربهن
الرجال ، وهذا ما يؤكد تزاوج الجن في عالمهم وذلك في مثل نص
الآيات الكريمة :

(فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ
قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ) .

(حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . لَمْ يَطْمِشْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ) .

وللجن القدرة على التشكل بإرادتهم الذاتية في صورة آدمية ، وعلى شكل معين وهيئة محددة من الإنسان . وكذلك في صورة أية كائنات أخرى حية على اختلافها ، فلقد تشكلت في هيئة جنود لسليمان بالنص الشريف من القرآن الكريم :

(وَخُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) .

كما أن سيدنا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي) .. وبذلك فإنه يمكن للشيطان للحظات أن يتمثل بأي أحد بحيث يلتبس على الإنسان عندما يراه أن يعتقد أنه هو الأصل فيما عدا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . غير أن شكل الجن العادي حيث يوجد على طبيعته لا يمكن التكهن به .

وكطبيعة الأمم والجماعات فإن للجن رؤساءه ووزرائه وشعوبه ، ولا بد أن لكل طائفة منهم ما تقوم به وما تكلف به .

ومقدار عالم الجن يكاد يماثل عالم الإنس الذي نعيش فيه أو يزيد .. ولا بد أن عالم الجن من الكثرة حتى ينادى القرآن الكريم على العالمين سوياً ويذكرهما في بعض الآيات الشريفة مثل :

(يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا
مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ
إِلَّا بِسُلْطَانٍ) .

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا
مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا
مِنَ الْأَسْفَلِينَ) .

(قُلْ لَّيِّنَ أَجْتَمَعْتَ الْإِنْسُ وَالْجِنَّ عَلَى أَنْ
يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) .

والجن بطبيعتها وصفاتها لها القدرة على إمكانية الاتجاه إلى كل
الجهات حتى الحد الذي لا تستطيع المخلوقات تجاوزها كل بقدر
ما تقرر لها . ولقد وصلت الجن في وقت بسياحتهم السريعة البعيدة إلى
ما يمكنهم معه لمس السماء والاقتراب منها قرباً يجعلهم يسمعون فيها
وذلك بالنص الشريف :

(وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِدَّتْ حَرَسًا
ثَمِيدًا وَشُهُبًا . وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ
لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا) .
وهكذا حجب عنهم الاستماع والاقتراب من السماء .

وتتضح سرعة الحركة في عالم الجن في قصة سيدنا سليمان عليه
الصلاة والسلام إذ أعلنت الجن أنها تستطيع أن تأتي بعرش بلقيس
من اليمن إلى الشام بسرعة تتمثل في أنها ستطوى هذه المسافة حاملة عرش
بلقيس في وقت قصير وقبل أن يقوم الجالس من مكانه أو يتحرك
للقيام ، وهذا تصوير للسرعة التي تتباهى بها الجن وفي ذلك تقول
آيات القرآن الكريم :

(قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا
قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ عَفْرَيْتُ مِنْ
الْجَنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ
وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ) .

ولكن الحقيقة أن هذه القدرة لعاجزة ومحدودة وقاصرة بالنسبة
لقدرات بعض أفراد النوع الإنساني .. فإن من الصالحين من البشر
من هم أقوى وأسرع من الجن مرات ومرات .. فعندما طلب سيدنا

سليمان من الحاضرين معه من الجن والإنس أن يأتوه بعرش بلقيس كوسيلة لعرض مظاهر قوة سليمان الخارقة حيث يستطيع بها أن يؤثر في الملكة بلقيس ويدعوها إلى الإيمان بالله الواحد الأحد وتكون هذه الظواهر هي أدلة مادية على أن الله سبحانه وتعالى يؤيده وأنه رسول الله لهدايتها .. وعرض عفريت من الجن أن يأتيه بعرشها قبل أن ينفذ الاجتماع ويقوم من مقامه حيث كان يجلس للحكم بين الناس والقضاء بين المتنازعين من الصبح إلى الظهر تماماً .. ويتضح من السياق أن سيدنا سليمان قد وجد أنها فترة طويلة أن ينقل العرش في نصف يوم بحيث لا يمكن مع ذلك اظهار القدرة الخارقة وهذا يشير إلى أن سيدنا سليمان يعلم أنه يمكن نقل هذا العرش في أسرع من ذلك وأن من البشر من يستطيع ذلك باذن الله .. وبذلك عندما شعر الحاضرون أن سيدنا سليمان قد وجد أن هذه الفترة طويلة انبرى من بين الجمع رجل من الصالحين يعرض عليه أن يأتى بالعرش في غمضة عين بل قبل أن يرتد رمش العين إليها .. وهذه لحظة خاطفة تكاد لاتذكر .. فما أبعد النسبة بينها وبين نصف يوم .. وهذا ما يشير إلى البعد بين قدرة الرجل الصالح الذى وفقه الله سبحانه وتعالى إلى الاتصال به والقرب منه ، فوهبه القوة التى لاتقف فى سبيلها العقبات أو الحواجز التى لاتحدها الأبعاد والمسافات والسرعة الفائقة التى تطوى فيها المساحات طياً دون أن يستطيع أى متحرك مهما كان أن يلاحقها . وبين قدرة الجن .. وهذا هو الفارق بين الإنسان الصالح الذى ملأ الإيمان قلبه وفاضت باليقين نفسه . وتقرب إلى الله بما يجعله يفيض عليه من وسائل

القرب .. وبين الجن التي أوتيت السرعة والخفة .. والتي قد تغرى بها بعض الناس .. وهكذا تقدم الرجل الصالح ونقل سليمان عرش بلقيس في أقل من لحظة خاطفة .. وقبل انتهاء رمشة العين وجد سليمان العرش مستقراً عنده وفي هذا تقول آيات القرآن الكريم :

(قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ
أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا
آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ
لَقَوِيٌّ أَمِينٌ . قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا
آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ
مُشْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي
أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ
وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌ كَرِيمٌ .)

ولقد كانت طبيعة خلق الجن من نار وسرعتها وحركتها وخفتها من الأسباب التي جعلت بعض الأفراد من الإنسان يحاولون الاتصال بالجن واستخدامهم بل والالتجاء إليهم والطاعة لهم وذلك بنص الآية الكريمة :

(وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالِ
مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) .

وهكذا أجابت الآية الشريفة صراحة وبوضوح بنتيجة اتصال
الإنسان بالجن ومحاولة الاستعاذة به والالتجاء إليه ، فليس من نتيجة
لذلك إلا الضرر وزيادة التعب والنصب . ولا فائدة ترجى إطلاقاً من
الجن للإنس فهي لا تستطيع دفع أذى عنه ولا تجلب له فائدة .. ولعل من
الخطأ الشائع لدى الإنسان أن الجن بما أوتيت من سرعة الحركة ويسر
الانتقال من جهة إلى أخرى في الأرض أو السماء تستطيع أن تعرف
ما حجب عن الإنسان أو التنبؤ بمستقبله حيث قد سطر لكل إنسان
عمله وماضيه وحاضره ومستقبله في لوحة الكون بطريقة ما
وفي مكان ما .. إلا أن الحقيقة أن الجن لا تعلم من الغيب شيئاً شأنها
في ذلك شأن الإنسان ولا تستطيع التنبؤ بما قد يحدث .. بل إن علم الإنسان
ومعرفته العامة قد تكون أكثر مما تعرف أو تعلم الجن .. فقد سخر الله سبحانه
وتعالى لسليمان من الجن من يعمل بما يأمره به فقامت الجن بإرادة
الله وبإشراف سيدنا سليمان بتشديد قصور كبيرة محصنة تمام التحصين
يمكن اتخاذها للحرب والدفاع .. وصورت له تماثيل من خشب ونحاس
ومعادن أخرى .. كما صنعت أواني للطهي ذات أحجام بالغة لا يخشى عليها
من السقوط أو الاهتزاز فهي رغم حجمها الكبير راسية على الأرض
تماماً وأعدت الجن كذلك الصحف الممتدة للأكل وكأنها لوطها
وعرضها وضخامة مساحتها الحياض التي تروى الأرض .. ولا شك

أنها كانت تقوم بهذا العمل بالسرعة والإتقان الذى تشير إليه الآيات الشريفة من القرآن الكريم، إذ أن هذا العمل إنما كان من فضل الله على سليمان .. وبالرغم من هذه القوة الهائلة والسرعة الفائقة فإن الجن ظلت تعمل أسيرة لأوامر سليمان حتى مات سليمان وهو يستند إلى عصاه ولا تعرف الجن موته وتستمر كذلك فى العمل خوفاً منه حتى بدأت حشرة الأرض التى تأكل الحشب تتغذى على عصا سليمان التى يستند إليها فلما فقدت العصا قوتها ومثانتها بما أكلته الحشرة ولم تستطع تحمل ثقل جسد سليمان سقط الجسد على الأرض وهنا عرفت الجن أن سيدنا سليمان قد مات وأنهم ظلوا فترة طويلة فى عذاب العمل وهم أسرى لأوامره دون أن يعلموا الغيب المحدد لحياته، بل دون أن يتنبهوا وهم بجواره وحوله بحالته فيلاحظون موته . وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ
وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ
يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ
مِنَ عَذَابِ السَّعِيرِ . يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَارِبَ
وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا
آل دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ . فَلَمَّا

قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ
الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ .

وهكذا يتأكد جهل الجن بالغيب بل وجهلهم بما هو أوضح من
الغيب إذ جهلوا حقيقة واضحة لكل عين موجودة .. ألا وهي موت
سيدنا سامان ..

وللجن شأن مع الإنسان أى شأن .. فإن من طبيعة النار وقد خلقت
الجان من نار الأذى والتدمير والتخريب وإن خبت ففيها الأثر المدمر
وإن كان فيها بعض النفع فهو نفع لا يؤتمن بهما ليس للمردة والشياطين
وجنود إبليس من الجن أى نفع يؤتمن وإنما منهم الضرر كل الضرر
وفيهم الأذى كل الأذى وكان ذلك دائماً هو الشأن فيما بين الجن العصاة
وعلى رأسهم إبليس وبين الإنسان وذلك منذ أن خلق الإنسان الأول
فلقد خلقت الجن قبل الإنسان إذ أن الله سبحانه وتعالى أمر الملائكة
بالسجود لآدم بعد أن خلق فأبى إبليس وهذا ما يدل على أن إبليس
يسبق الإنسان في الخلق .. وبعد الملاحظات الأولى من خلق آدم وحواء
وبعد أن استمعا إلى ما أمرهما الله به حفاظاً عليهما ورحمة بهما :
وما نهاهما عنه حتى تستمر حياتهما في الجنة .. وبعد أن تبينا بأنفسهما
كراهية إبليس لهما وحقدّه عليهما بدأ إبليس فوراً عماله معهما حيث
وسوس لهما بمعصية الله سبحانه وتعالى . وبلغ التحايل منه أنه أورد

لهما من الأسباب ما يجعلهما يستجيبان له إذا لم يتدبرا أمره فيما كان بينه وبين الله عند خلق آدم .. فكيف يستجيب كائن لمن عصى الله ولم يستمع لأمره ؟ . مهما أبدى من الأسباب ومهما أورد من الأعذار .. ومهما ساق من الأدلة ؟ .. ولم يكتف إبليس بذلك بل إنه زيادة في دفعهما إلى الضلال وإزالة لأى شك قد يتولد في نفسيهما منه فإنه أقسم أنه لهما من الناصحين .. وبديهي أن من عصى ربه وكفر بأمره فلا قسم له ولا إيمان عنده ولا صدق منه .. وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ . فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ . وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِينٌ النَّاصِحِينَ) .

واستجاب آدم وحواء لإبليس .. فكان الجزاء أن غضب الله عليهما .. وأنزل درجتهما .. وأخرجهما من الجنة .. وأهبطهما الأرض

بعد أن أهبط إبليس منها بعد أن تكبر فيها وفاضل بين نفسه وبين آدم واعتقد بأفضليته عليه وذلك بالنص الشريف :

(قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ . قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ) .

ولقد شعر إبليس بسوء ما عمل وأحس بهول ما وقع منه ودعا ربه أن يؤخر عتابه إلى حين فلاشك قد تخيل بالغ حسابه وقدر خسارته وذلك بالنص الكريم :

(قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ . قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ) .

وحى تتحقق طبيعة النار من إضرار ونخریب فإنه كما بدأ عمله مع آدم وحواء فقد أعد نفسه ليضل كل بنى آدم جميعاً حيث قالت آيات القرآن الكريم :

(قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ . ثُمَّ لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ

خَلَفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ
شَاكِرِينَ. قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ
تَبَعَكَ مِنْهُمْ لِأَمَلَانَ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ .

وقد كانت ذرية آدم من أهم ما اتجه إليها إبليس حيث يستمر عمل
إبليس وجنوده مع البشر جميعاً وذلك بالنص الكريم :

(قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ
أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا
قَلِيلًا) .

وأوردت آيات القرآن الكريم أنه علاوة على أن جنود إبليس
والشياطين والمردة من الجن يحاولون إضلال الناس بأن يأتوهم من
اليمن والشمال والأمام والخلف ومن كل اتجاه فإنهم يحاولون بوسائل
أخرى .. بإلقاء الحديث إليهم .. والوعود الكبيرة الكاذبة ..
ويزينون لهم كافة طرق الغواية .. وتبين آيات القرآن الكريم
وسائل ذلك في النص الشريف :

(وَاسْتَفْزِزْ مَنْ اسْتَطَاعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ
عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ وَعِندَهُمْ وَمَا يَعْبُدُكُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا)

وهكذا يتأكد الأمر أن الشياطين ستثير الإنسان بأصواتها سواء أكانت همساً أم ترديداً ومن كل طوائف الجن على اختلاف هياتها سواء كانوا راجلين أم راكبين الخيل وسواء أكانت بذلك سرعتهم سرعة بطيئة كسرعة المترجل أم أسرع من ذلك كالمستخدمين وسائل الحركة . . وأنهم كذلك سيحاولون التأثير على الناس حتى يكسبوا من حرام ويأتوا من كل الفواحش ما يجعل أموالهم وأولادهم وكأن الشياطين شركاء لهم فيما اقتنوا لأنها جاءت من الطريق المحظور الذي لا يلجّه إلا كل مذهب خطاء . . وإن الشياطين في كل ذلك إنما سيلتقون إلى الناس بالوعود الخلابة وماهى بالحقيقية وإنما هى الغرور .

وليس ذلك فقط ، بل إن محاولات الشيطان مع الإنسان كثيرة ومتعددة ومختلفة الأشكال فمنها كل طرق الضلال على اختلافها ومنها إلقاء الأمانى الكاذبة والأوامر الخاطئة والتي كان منها شق آذان الأنعام واعتبارها بذلك ملكاً للأصنام فلا يستفيد بها أحد ولا يقربها بائع أو مشتر . . وكذلك منها محاولة تغيير خلق الله عن طريق الوشم أو خصى الرقيق حتى يتغير حاله من ذكر إلى غيره . . وعود وأمانى كلها كاذبة وكلها ضالة مضللة وذلك بنص الآيات الشريفة من القرآن الكريم :

(وَلَا أُضِلُّهُمْ وَلَا مَنِّينَهُمْ وَلَا مَرَنَّهُمْ فَلَيَبْتَکُنَّ
آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرَنَّهُمْ فَلَيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ
يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا

مُبِينًا . يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا
غُرُورًا .

وتختلف الآراء في العدد التقريبي للجن ، بل إن البحاث ام يحاولوا
التعمق في هذا الاتجاه لأن كل ما سيصل إليه المجتهد إنما هو عن طريق
الظن يقيناً .. فهل الجن أكثر من بنى الإنسان عدداً ؟ وهل هم كثرة
بالغة ؟ . أم هل يقتربون منهم عدداً ؟ . فإن المؤكد أن لكل إنسان
قرينه من الجن إذ تقول آيات القرآن الكريم :

(وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ . لَقَدْ
كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ
فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ . وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٌ .

(قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي
ضَلَالٍ بَعِيدٍ) .

وبعض القرين من الشياطين وذلك بالنص الشريف :

(وَالَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ
لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا) .

(وَمَنْ يَعُشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضُ لَهُ
شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) .

ولما كانت الشياطين هم بعض أفراد الجن فيكون ما بقي من القرين
هم من الجن أيضاً ولو أنهم من غير الشياطين .. فهل عدد الجن كعدد
بنى الإنسان فقط ، أم هل يوجد في عالم الجن العدد الأكثر من العدد
المقابل للنوع الآدمي ؟ . وبذلك فإن أقل عدد يمكن أن يكون لعالم الجن
هو عدد أهل الأرض من بنى الإنسان .. ولقد ورد في الأحاديث
الصحيحة عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل مولود
يولد له جنى يختص به وذلك بنص الحديث (لكل مولود قرين من
الجن) .

وكما يوسوس الجن للإنسان فإنه يتلقى منه .. فإذا كان جن
الإنسان شيطانا فإنه يحاول قدر الاستطاعة غوايته بما يهتف له في نفسه
وبما يوسوس له من داخله .. وكم يحاول الإنسان دفع هذه الوسوسة
والبعد عن هذا التوجيه بل كثيراً ما يحاول الإنسان أن يجاهده بما يرد به
عليه .. وفي الصراع القائم فإن أيهما تغلب على الآخر فقد اتجه المغلوب
مع الغالب .. وقد ورد ذلك في حديث سيدنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم حينما سئل عما إذا كان له قرين من الجن فقالوا
(حتى أنت يا رسول الله ؟ قال حتى أنا إلا أن الله أعانني عليه) .

وهكذا يتأكد أن لكل فرد من الناس جنى يختص به وأنه كما
يحاول أن يضلّه فإن الإنسان يستطيع أن يتغلب عليه .

وتعتبر وسوسة الشيطان للإنسان من أهم صور المحاولات التي يبذلها للناس جميعاً حتى يجعلهم يعدلون عن الطريق السوى وينحرفون عن الصراط المستقيم .. وما من إنسان أيا كان بمنجاة من هذه المحاولات بل حتى الأنبياء والرسل جميعاً لم يسلموا من هذه المحاولات وذلك بالنص الشريف :

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

وتقص علينا النسخ المتداولة من الأناجيل المحاولات المتعددة التي حاولها إبليس مع سيدنا عيسى عليه السلام فعندما وجد إبليس أن عيسى قد اجتهد في العبادة وصام أربعين يوماً وليلة وأحس لذلك بالجوع طلب منه أن يحمل الحجارة خبزاً فلما أعرض عيسى عنه أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وتوجه به إلى أعلى قمة من الهيكل وسوس له أن يلقي بنفسه من هذا الارتفاع وان يصيبه الأذى لأن الملائكة ستحول بينه وبين الاصطدام بالحجر فرفض عيسى لأنه لا يريد أن يمتحن إرادة الله ومشيئته .. وعز ذلك على إبليس وحاول أن يغري بعيسى عليه السلام مرة أخرى فأخذه إلى جبل عال جداً وأراه جميع الممالك التي يتكون منها العالم الأرضي وأوضح له بهجتها وزينتها

ووسوس إليه أن هذه البلاد والأرض لإبليس وأنه يمنحها لسيدنا عيسى إن سجد له . وبلدهى أن هذه كانت أخطر ما يوسوس به إبليس للإنسان حيث يطالبه بالكفر والسجود له بدلاً من السجود لله سبحانه فنهزه عيسى عليه السلام مقررًا له أن السجود إنما لله وحده وهو سبحانه وتعالى المعبود فقط ، وبذلك تركه إبليس . وفى ذلك يقول إنجيل متى فى الإصحاح الرابع .

(ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح لي تجرب من إبليس . فبعد ما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً . فتقدم إليه المجرب وقال له إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً . فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله . ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل . وقال له إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل . لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك . فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك . قال له يسوع مكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك . ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها . وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى . حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان . لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد . ثم تركه إبليس وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه) .

وبقليل من التأمل وبلحظات من التفكير يمكن للإنسان أن يكتشف وسوسة الجن له ويقف على كل ما ينفث به فى داخله وعندئذ سيجد الإنسان عجباً ويرى حقيقة موقف الجن منه وما يتخذه بشأنه :

وبدئى أن ذلك هو الطريق الإيجابى الذى لا يبارى والدليل المادى الذى لا يدانى للوقوف على محاولات الجن المتصلة والمتواصلة والدائمة للتأثير فى الإنسان . ولا بد أن كل إنسان قد مر فى حياته بفترة شك مدمرة ووجد التساؤل ينبعث من داخله عن الوجود والحياة والموت والجنة والنار والثواب والعقاب .. بل وعن الهدف من الخلق .. وأسبابه وبدايته ونهايته .. بل وما قبل البداية وما بعد النهاية .. ولا بد أنه أحس بمعارضة قوية لكل ما قد يكون استمع إليه أو اجتهد فيه من بواعث الإيمان وأدلة التوحيد وأسباب الخلق .. وكم من شاب طالت به فترة الشك والقلق وتعمدت بذلك حياته .. وما من سبب لهذا الشك والقلق إلا مايوسوس به الشيطان له .. وما يلقيه الجن فيه .. إذ بمجرد أن يبدأ الشاب ينضج عقلياً ويستعد للتأمل والتفكير فيما حوله ليضيف إلى إيمانه الفطرى الإيمان العقلى والعلمى ليصبح بذلك عصياً على الكفر ممتنعاً على الشك حتى يبدأ الشيطان محاولاته الجادة الرهيبة معه .. أين الله . ؟ وكيف تؤمن بما يغيب عن إدراكك ويحتجب عن بصرك ؟ .. ولماذا يحتجب الله ؟ . ولماذا هذا يولد غنياً ويزداد ثراءً وجاهاً وذاك يولد فقيراً ويتضاعف فقره وتزداد حاجته ؟ .. ولماذا يموت الشاب بعد أن ينتهى من فترة الإعداد والاستعداد ويبدأ يعول أبويه الشيخين وأسرته المحتاجة ؟ .. ولماذا .. ولماذا ؟ . فإذا كتم الشاب فى نفسه ما يوسوس به الشيطان له فإنه يقيناً يصاب بالشك .. وقد يشتد أمره ويستفحل خطره .. وإذا اتجه الشاب إلى البحث ولجأ إلى من يساعده ويعاونه .. واستعان بما بحث به غيره .. وما وصل إليه من سبقه :: ووجد أدلة وجود الله واضحة ظاهرة فى كل ما يحيط به ..

وفي كل ماهو حوله .. إذ تشرق الشمس كل يوم في لحظة محددة
لاتتجاوزها وتسللك طريقاً مرسوماً لاتحيد عنه .. وتغرب في لحظة
معينة لاتتعداها .. ويبدأ القمر مولده بقدر معين ويزداد بمقدار
متزن ليصبح بدرًا في موعده ثم يتناقص بنسبة محددة ليعود كما كان هلالاً
فمحاقاً .. وما أخلفت الشمس دورتها يوماً .. وما غير القمر دورته مرة
على طول المدى من العمر .. أليس هذا ما يشاهده كل إنسان بعينه
المجردة ؟ .. والأرض التي دائماً تدور سابحة في الفضاء لاتتزع منه ..
ولاتهاوى فيه .. ولا يمسكها شيء .. دورتها رتيبة .. وحركتها دقيقة ..
وحقائقها عجيبة .. والنجوم اللامعات والتي ظلت مدى العصور في
أماكنها من السماء بأعداد رهيبة وأحجام كبيرة وذات سرعات عنيفة ..
وما تضاربت .. بل وما تقاربت .. أية قوانين تربطها .. وأية أحكام
تحكمها .. وممن هذه القوانين ولمن هذه الأحكام ؟ .. وأية قوى تلك
التي استجاب لها هذا الكون بما فيه . والإنسان نفسه .. من خلقه ؟ ..
إذا كان هو لم يخلق غيره . ؟ ومن رعاه بجنيناً في بطن أمه .. حيث
لاماء ولاهواء .. ولاشمس ولاغذاء .. فوفر له ما يشاء وأوجد له
البديل عن الهواء والشمس والغذاء .. ويولد الطفل بقدرة خارقة
وحكمة بالغة فينسب من الأم لبن يناسبه ويتغير هذا اللبن كمية وتركيزاً
طول حياة الطفل بحيث تزداد كميته وتتركز مكوناته كل يوم طالما
الطفل يعيش حتى يناسب حاجاته ويعمل على نموه فإذا مات انقطع
فجأة وإذا ما وصل إلى الطور الذي يعتمد فيه على الأكل انتهى إدرار
اللبن .. فمن أنزل اللبن من الأم ؟ . وغير من تركيزه وكميته كل يوم ؟ ..

ثم قطعه إذا ما انتهت الحاجة إليه ؟ .. وجسم الإنسان نفسه .. سمعه وبصره .. شمه وذوقه .. نومه ويقظته .. حركته وسكونه .. أكله وهضمه .. عظمه وشعره .. بل كل خلية فيه .. وكل عضلة منه .. بل حياته ومماته .. والأرض وما تخرجه من نبات .. تربة واحدة وماء واحد تخرج الحلو والمر والناعم والحشن والأبيض والأسود والجميل والكريه والأملس والشائك .. تخرج الخضر والفاكهة .. والحبوب والبقول .. ملايين الأنواع والأصناف والروائح والطعوم والألوان .. رزقاً للعباد .. من أخرجها وأمر بها ؟ .. ومن أعد كل هذه الأنواع والأصناف المختلفة لتلائم كل إنسان .. وتلبي حاجته ؟ .. والحيوانات والطيور .. والحشرات والجراثيم .. لكل صنف عالمه الخاص .. ولكل نوع أعاجيبه التي لا تنتهى .. ويجد الأدلة الشافية الكافية لإثبات وجود الله وقدرته إذ ما تدبر وتفكر في النملة .. تلك الكائن الصغير الذي يراه ويتابعه ويدرسه .. هذه النملة ترى .. كيف حال عظامها وأى دقة وإبداع في خلقها .. وما حجم لحمها .. وما قدر دمها .. وأعصابها التي تنتشر في جسمها .. ما قطر العصب بل والكائنات الحية الأخرى التي تعتبر النملة بالنسبة لها شيئاً هائلاً ورهيباً .. فهناك كائنات كثيرة وعديدة أصنافها لاتعد ولا تحصى ولا ترى بالعين المجردة بل ومنها ما تصعب رؤيته بالمجاهر وآلات التكبير وهناك كائنات أخرى يحس بأثرها ولكن لا ترى .. وكل كائن إنما هو عالم قائم بذاته .. فيه الحياة وفيه الموت .. فيه الدليل على وجود الله .. وفيه الأثر الذي يشير إلى عظمة الله .

وإذا تدبر الإنسان حالة الغنى والفقر وبحث وتأمل لوجد أن ما عليه الحياة هو ما تقوم به الحياة .. فإذا كان الناس جميعاً أغنياء فمن يشتغل ومن يوفر أسباب الحياة لهم ؟ . من يزرع ويحصد ؟ . ومن يبيع ويشترى ؟ . ومن يعد الطعام ويهيئ الكساء ؟ . من يخدم العجوز والمريض ؟ . من يغسل الطريق ويطفيئ الحريق ؟ . ومن . ومن .. وأما إذا كان الناس جميعاً فقراء فمن يقوم بتسخيرهم ويؤدى أجرهم ؟ . ويموت الشاب في وقت قد قدر له . . كما يموت الطفل وكما يموت الرجل .. وليس الموت نهاية ليكون من مات قد انعدم وأصابته النهاية .. إن الموت تطور به ينتقل الإنسان من حياة إلى أخرى . ويتحول من حال إلى غيره .. وكل ما يحدث لكل إنسان لا يمكن للمرء أن يعرف الحكمة مما يقع إلا إذا عرف سلسلة طويلة لقبل ما وقع .. وأموراً كثيرة لبعده ما يقع ليتأكد ويتمتع ويؤمن بأن ما وقع كان لابد أن يقع وفي الوقت واللحظة ذاتها لامن قبل ولا من بعد . . أدلة كثيرة وشواهد عديدة وحتماتق مثيرة وإشارات أكيدة كلها تتجمع لتصرخ في قوة وعنف وتعلن عن الحقيقة الأولى في الحياة .. وجود الله وعظمته وحكمته وقدرته ورحمته .

وإذا ما وصل الإنسان في مغالبة شيطانه إلى ذلك بارزه الشيطان مرة أخرى : إذا كانت هذه كلها أدلة على وجود قوى عظيمة مدبرة رحيدة وهي فعلاً كذلك فلماذا لا تكون لعدة آلهة .. فيختص كل إله بجزء مخصص وعمل محدد .. فأى إله من هذه سنتبعه ؟ . . ولا يشير ذلك في نفس أى إنسان له بعض الفكر وأثارة من عقل أية بادرة

من شك .. فطابع كل ما فى الوجود إنما يشير إلى التوحيد .. وحدة الخلق .. وحدة الأصل .. وحدة الوجود .. النظام الواحد .. والتدبير الواحد .. وياترى هل سبق إله غيره فى العمل ؟ . ولماذا لايعلو .. بعضهم على الآخر .. بما يختص به .. ولسببه فى الوجود .. بل ولماذا لم يظهر أثر لاختلاف بين الآلهة .. فلم تفسد السموات والأرض .. وكلها كما كانت وكما ستظل .. قبضة واحد أحد .. فرد صمد .. لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد . .

ولايأس الشيطان .. بل إنه يعود فى إثارة لشك آخر .. على أى دين تعبد الله ؟ . وما الدليل على صحة هذا الدين ؟ . بل ما الدليل على صحة الأديان كلها ؟ . ولماذا لا يكون هؤلاء الرسل والنبيون قوماً مجتهدين أرادوا مجداً .. فنادوا بنظام .. واينشروه .. أسندوه إلى الله ؟ . وابتغوا عزاً فقالوا إنهم أصفياء الله .. وإنهم تحدثوا مع الله .. نادوه .. وأوحى إليهم وبديهي أن الرسل والأنبياء جميعاً ما ادعوا يوماً أنهم أكثر من عباد الله .. ولم يسندوا لأنفسهم أكثر مما لأى بشر .. وعاشوا كما عاش البشر .. بل لعلهم قاسوا أكثر مما قاسى البشر .. وهل دعت الأديان إلى ما فيه غير صالح الإنسان نفسه .. وهل دعت الأديان إلا لعبادة الله وحده .. والإقرار بأن كل الرسل والنبیین إنما هم عباد الله .. كغيرهم والأدلة على صحة الأديان .. ورسالة الرسل والأنبياء .. بين أيدينا .. ومعنا .. فى كل لحظة وحين .. هذا القرآن الكريم .. كتاب .. الله .. لاتنتهى عجائبه ولاتحد وجوه إعجازه .. فى كل آية بل فى كل كلمة إعجاز وأى إعجاز .. فيه أخبار ما قد سبق وفيه أنباء ما قد وقع

فيه ما جعل الأجيال منذ نزوله على اختلافها تؤمن بأنه دليل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وإثبات نبوته .. وأنه دستور أمته .. فهو رسالة الله لعباده من البشر .. وكل من أراد التأكد أن محمداً قد بعث وأنه النبي والرسول وقد أرسل للناس أن يرجع إلى القرآن الكريم ويقرأ فيه ما يقرأ .. فيجد أنه لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بآية من مثله لعجزوا وفشلوا .. ولقد ظل القرآن الكريم موضع البحث والدرس عشرات المئات من السنين وكل يوم يمر يضيف إلى إعجاز القرآن الكريم جديداً ويؤكد أنه وحى الله سبحانه وتعالى لخاتم رسله وأنبيائه ولقد أورد القرآن الكريم ما يؤكد بعث عيسى وموسى وإبراهيم ونوح وغيرهم من الرسل والأنبياء صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين .. والحمد لله رب العالمين وأعوذ به سبحانه وتعالى من الشيطان الرجيم .. فإن أول وأهم ما يحاوله الشيطان للإنسان أن ينحيه عن الطريق القويم ويخرجه عن الصراط المستقيم .. ويجعله من الكافرين وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) .

ولا تقتصر مغالبة الشيطان للإنسان فيما يلقي به إليه من صور الكفر بل أحياناً ما يثير فيه الجدل في الله فيدفع الإنسان إلى تصوير الله بأى صورة ويسند إليه ما يشاء من تخيلات ويناقش ما يقع ويبدى لها

ما يريد . وكل ذلك بدون علم من الإنسان وبغير حق .. فالله سبحانه وتعالى
أجل من أى صورة وأبعد من أى تخيل ومن الذنب تصوره أو تخيله
على أية صورة .. ومجادلة الإنسان نفسه أو غيره فى هذا إنما يتبع
الشيطان الذى يلتقى فى نفسه الرغبة فى الجدل وذلك بنص آيات القرآن
الكريم :

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ
كُلَّ شَيْطَانٍ مُّرِيدٍ) .

وأحياناً أخرى يثير الجدل بما يدفع به بعض أوليائه ليجادلوا الناس
فيتم انتصار الشيطان على من يتبع جدال غيره من أعوان الشيطان
وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ
وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) .

والمحاولات الرتيبة المستمرة التى يبذلها الشيطان دائماً مع الإنسان
تتبعين واضحة فيما يحاوله من إغرائه ليصرفه عن العبادة أو يؤخره فى
أدائها ويجتهد تماماً لينسيه القيام بها أو إثارة المشاغل فى نفسه عند أدائها
ليصرفه ما أمكن عن التفرغ لها .. فبدأ الشيطان منذ اللحظة الأولى التى
يحاول الإنسان القيام فيها ليؤدى صلاة الفجر فيزيّن له النوم ويغريه
بالاستمرار فيه ولو لعدة دقائق فما زال الوقت متسعاً ويسمح لفترة
أخرى من النوم إلى أن ينام الإنسان وتشرق الشمس .. أما إذا تغلب

الإنسان على الشيطان ولم يصبه النوم عاد إليه ناصحاً بالتأخير لحظات حتى تنكسر حدة البرد .. فالبرد شديد والدفع جميل والدين يسر وإن كان الصيف زين له الانصراف عن القيام بطريقة أو أخرى ولسبب أو غيره . وفي صلاة الظهر يحاول أن يغريه للجمع بين الظهر والعصر .. فالفترة بينهما قصيرة والإنسان هكذا مشغول في عمله .. وفي صلاة العصر يصور له نفسه المتخمة بالأكل أو المجهدة من العمل ويدفعه إلى التمهّل والتريث لحظة ولحظات حتى تغرب الشمس .. وفي صلاة المغرب يلهيه بمختلف الوسائل وشتى الأسباب وما أيسر أن يشغله عن صلاة المغرب في وقتها .. أما في العشاء فيكرر ما بدأه في الصباح وما استمر عليه في الأوقات كلها .. محاولات لتأجيلها عن طريق البرد الشديد والإغراء بالنوم ولو فترة ينهض بعدها للصلاة .. وطالما دخل الإنسان الفراش ونام فتهيأت أن ينهض بعدها للصلاة .. وكثيراً ما يتغلب الإنسان على هذه المحاولات الساذجة من الشيطان بصرفه عن الصلاة في وقتها فإذا وجدته مصراً عليها محافظاً على أدائها متمسكاً بوقتها فإنه يلجأ إلى حيل أخرى ويعمد إلى وسائل مختلفة ؟ . فعندما يتوضأ يشككه في وضوئه .. وهل أتمه كما يجب أم يعود للتوضؤ مرة أخرى .. وإذا هم للصلاة بوضوئه أقامها بغير اطمئنان من وضوئه كما أنه يلجأ إلى وسيلة واحدة يحاولها مع كل المصلين فبمجرد إقامة الصلاة يوسوس الشيطان للإنسان بكل مشاكله ويوجهه إلى كل متاعبه ويشحن عقله بكل ما يشغله .. وما ذلك إلى ليله عن التفرغ للصلاة .. والاطمئنان فيها .. والتجرد لها .. وإذا هم بإخراج زكاته .. فإنه دائماً

ما يوصيه بالبخل فيها .. وقد يقترح على الإنسان وسائل عجيبة
لحبس حق الله في ماله .. فقد يدفعه إلى الاتفاق مع صاحب له على
أن يقدم كل لصاحبه زكاة ماله فيتبادلا حق الله في مالهما ويكون
الإنسان كأنه قد أخرج الزكاة وقدمها لنفسه وبديهي أنه لا يفكر في ذلك
إلا الشيطان وأى شيطان .. وإذا أخرج الإنسان الزكاة لمن حدد لهم
الدين جاهد الشيطان ليخرجها من أسوأ ما عنده ويتفنن في المغالطة
ليدفع أقل ما يجب .. وفي الصوم والحج . بل وفي الاستماع إلى
القرآن الكريم إذ يجاهده الشيطان على الإنصات إلى النغم .. وفي التلاوة
يحسن له سرعة الأداء حفاظاً على كثرة العدد .. وما ذلك إلا ليصرفه
عن التدبر والتفكير والتذكر وعن العظة والعبرة والمعنى .. وهكذا
يحاول الشيطان دائماً أن يصد الإنسان عن سبيل الحق ولذلك حرص
القرآن الكريم في آياته الشريفة على تحذير الإنسان من محاولات الشيطان
صد الإنسان عن الحق إذ سيحاول ذلك لعدواته الشديدة للإنسان فأمر
باللفظ الصريح الواضح بعدم الاستجابة للشيطان في مثل محاولات
هذه وذلك بالنص الشريف :

(وَلَا يَصُدُّنَكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) .

ولاشك أن المال هو عصب الحياة وزاد الدنيا وزينتها فهو أمل
كل إنسان ووجهة كل الناس يحاولون جاهدين الاستزادة منه ..
والاستمتاع به .. والحفاظ عليه .. ولذلك فقد استغل الشيطان في
الإنسان هذا الاتجاه ليخرجه عن الطريق المستقيم ويتجه به إلى طريق
الغواية والضلال .. فيأخذ عليه كل سبيل ليغريه بما يزيد من ماله

دون تدبر لما إذا كان من حرام أو حلال .. ودون نظر إلى أن ذلك من مشروع أو غير مشروع .. بل إنه ليزين له طريق الحرام ويبيعه عن طريق الحلال .. فما أسهل الحرام وما أيسره وما أكثره .. بل إذا ناقشه الإنسان الأمر فإن هناك من المبررات الكاذبة .. والأساليب الخداعة والأسباب الزائفة ما يعرضها الشيطان تباعاً لعله يقنع بها الإنسان فينحدر إلى هاوية الحرام .. فالرشوة يزينها الشيطان للإنسان فهي سهلة المنال .. وقد يضلله بأنها هدية .. أو أنها مجرد أتعاب في مقابل جهد .. فإذا رفض الإنسان ذلك التبرير — لأن الهدية من متعامل مع الإنسان بأى صورة إنما هي رشوة .. وأما تقاضى الأتعاب فيكون علناً وباتفاق ولشخص يمتن ذلك كمهنة وليست للرجل العام أو العامل فهي لأى عامل رشوة .. وأى رشوة .. مهما حاول الشيطان تغيير اسمها .. أو هدفها — لجأ إلى وسائل أخرى ليوقعه إلى طريق الحرام .. فقد يشريه بأكل مال اليتيم على أنها مقابل عمله أو قد يتحایل على ذلك بزواج أو نسب أو غير ذلك وقد يدفعه إلى أن يأخذ ما ليس حقه بطريقة أو أخرى .. وقد يوعز إليه بأن النصب إنما هو ذكاء وقدرة . وأن الاستغلال هو فطنة ومقدرة .. وقد يوجهه إلى ما يخرج به صديقه يأخذ منه بعض ما عنده .. فكل جرعة ماء أو بلعة غذاء من حرام إنما هي من دعوة الشيطان .. واستجابة الإنسان له .. ولذلك فإن القرآن الكريم قد كرر الدعوة إلى مغالبة الشيطان فى تلك الدعوة وعدم اتباع خطواته والاكتفاء بالحلال الطيب وذلك بالنص الكريم :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) .

ومن ضمن وسائل محاولات الشيطان في إغوائه الإنسان على الكسب الحرام ما يدفعه به إلى المقامرة ولعب الميسر أملاً في ربح حرام سريع كبير.. وبلدیهی أنه لا ميسر بلا خمر فالخمر كذلك من ضمن ما يوسوس به الشيطان للإنسان على أنها من ضمن متع الحياة الدنيا فإذا لم يستجب الإنسان لهذا القول فلا متعة فيما حرم الله .. اتجه به اتجاهًا جديدًا . حيث يوسوس له أن القليل من الخمر تعتبر كشفاء أو أنها توسع الشرايين .. أو أنها تنشط الهضم .. أو أنها تدفئ الجسم .. أو أنها تنعش العقل .. أو أنها تزيل الضيق .. وتذهب بالأحزان .. ويظل الشيطان يسرد للإنسان المتناقضات ليبرر له دعوته لتناول الخمر .. فإذا وجد من الإنسان الإيمان بأن الطب قد أجمع على ضررها وأنه ليس فيها أي خير وأنها داء وليست دواء اتجه به إلى طريق آخر .. فيدعوه إلى تجربتها مرة .. ويتركها حين يتبين ضررها .. وإذا ما تناولها الإنسان مرة .. فهيئات أن يمتنع عنها .. ويظل الإنسان يغالب الشيطان ويصارعها فإن الدعوة إلى الخمر والميسر إنما هي من عمل الشيطان وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ
وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ) .

وتشير الدراسات الاجتماعية إلى أن المقامرة على اختلافها وتناول الخمر إنما دائماً وأبداً تثير المنازعات بين الأصدقاء .. وتولد الكراهية

بيهم .. فإن من كسب في الميسر فإنما يكسب من صديقه أوزميله ولا شك أن ذلك يثير حفيظة الخاسر ويبعث في نفسه كراهية لمن كسب . فإذا اسرد ماخسره .. أثار ذلك غضب من كان قد كسب .. وعلى أى حالة انتهت جولة الميسر فإن المقامرين لا بد أن تتغير اتجاهاتهم نحو بعضهم .. وكم أعقب الميسر اعتداءات تتطور كثيراً إلى قتل .. أو ترك في النفس عداوة لا يمحوها إلا الاعتداء .. وكذلك الخمر إذ يفقد الإنسان بها قدرته على التحكم في كلامه .. فتثير دائماً الخلافات والمشاحنات والجدل .. وكثيراً ما تنفض جلسة الخمر بعد أن تنفض الصداقات وتنقسم أواصر المحبة .. بل كثيراً ما يصاحب ذلك العداوة والاعتداء .. وليس كالميسر أو الخمر من وسيلة تعوق الإنسان عن أداء واجباته حتى الأساسية .. فكم ترك الإنسان أكله وشربه .. بل ونومه وعمله أمام مائدة الميسر والخمر .. ولذلك فإن الشيطان قد اتخذ الخمر والميسر وسيلة للإيقاع بين الناس .. ولصرفهم عن ذكر الله والصلاة .. ولقد سبق القرآن الكريم كل الدراسات الحديثة عندما أورد هذه الحقيقة في النص الشريف :

(إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ
وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ
وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) .

ولعل ما يروى عن الخمر وتأثيرها على الإنسان وما تدفعه إلى ارتكابه من حوادث أكثر من أن يسجل أو يسرد فإن أى جناية إنما تهون

على الخمور .. بل كم من مرة إذا تفكر الإنسان في ضرر وقع عليه من غيره وأراد أن يترك أمره إلى الله يتولى عنه القصاص ممن ظلمه ومعاقبة من أساء إليه .. حاول الشيطان أن ينفث فيه سمومه ليدفعه أن يأخذ بيده حتمه أو يرد الظلم بالاعتداء فإذا وجد الشيطان من الإنسان العقل والحكمة والإيمان بأن فوض أمره إلى الله راضيا بالقضاء وطالبا أن يتولى الله سبحانه وتعالى عنه الجزاء فإن الشيطان يحاول معه محاولة أخرى ليدفعه إلى كأس من الخمر فإن كأس الخمر هي مفتاح الشر كل الشر وأى شر .. فاذا ما تناولها انفتح للإنسان طريق الشر .. ويؤيد ذلك ما يروى من أن الشيطان دفع بامرأة في طريق رجل صالح ليغويه بها عن الطريق المستقيم فأبى ، فوسوس له ليسرق ويستزيد من ماله فرفض ثم أتى برجل مشاكس كثيره وزين له قتله جزاء تعرضه له وإهانته إياه فلما استعصى على الشيطان ولم يستجب الرجل لكل غاياته دفعه إلى كأس من الخمر كمحاولة للتهدة أو النسيان ، فما إن شرب الخمر حتى بحث عن المرأة ثم سرق مالها ولقي رجلا ببابها فخاف منه على نفسه فبادر بقتله وهكذا ارتكب الرجل كل الآثام والذنوب بسبب الخمر ..

ولاتقتصر محاولات الشيطان في إثارة الإنسان ضد أخيه على الخمر والميسر .. فإن من أهم ما يهدف إليه الشيطان هو إيقاع العداوة والبغضاء بين الناس وإشاعة الفرقة والكراهية بين الخلق فكل محاولة يستشعرها الإنسان للكيد من أخيه إنما هي من وسوسة الشيطان .. والإنسان خطأ بطبعه .. مندفع بحماسة .. سريع الاستجابة لما فيه الشر ..

يرغب من الناس أن يتسامحوا معه إذا أخطأ معهم .. فكما يطلب الإنسان من أخيه أن يتسامح معه فيما يكون قد وقع منه فلا بد أن يتسامح هو فيما يكون قد وقع عليه من صاحبه .. واكن الشيطان يدفع الإنسان دفعاً إلى محاولة النيل من صديقه المخطيء فيثير فيه باطل الأحاسيس حتى يدفعه إلى عدوان على أخيه .. وإذا لم يقع من صاحبه عليه فإنه يحاول إثارتة عليه بما فضله الله به عليه .. ويظل يوسوس له : ألم تر صاحبك أنه أكثر منك مالا وأعز ولدًا .. وأنه يفضلك قدرة ويتفوق عليك قوة ويزيد عنك قدراً .. ألم تر أنه لذلك يتعالى عليك ويتعجب بنفسه .. ألم تر أن تحيته لك إنما على سبيل التهكم والسخرية .. وسؤاله عنك إنما من سبيل التفضل والإحسان .. وهكذا تتولد في نفس الإنسان الرغبة في الكيد لصاحبه بل قد يقع الكيد من الأخ لأخيه وما ذلك الا بفعل الشيطان كما وقع لسيدنا يوسف من إخوته بنص آيات القرآن الكريم التي تقول :

(إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَادَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ .
قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ) .
(وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا)
وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ

جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ
السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ
الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا
يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) .

ومن أخطر ما يصيب الإنسان بفعل الشيطان هو ما يحاوله دائماً
من إثارة غضبه فيدفعه إليه دفعاً متواصلاً كأنه قد ركب ويزمخسه نخساً
شديداً ليوجهه حيث شاء وحيث يطفح به الغضب وقد أورد القرآن
الكريم النص الذي يشير إلى هذه الحقيقة باللفظ الذي لا يؤدي غيره
المعنى الفعلي الصحيح إذ تقول الآية الكريمة :

(وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ
الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ
عَدُوًّا مُبِينًا) .

ولو أمكن للإنسان في حالة غضبه أن يرى وجهه وكيف انقلب
وشكله وكيف تغير لآمن تماماً أن الشيطان قد تولاه وأن ما يظهر
عليه إنما هو أقرب إلى الشيطان من الإنسان فالعيون البارزة المحترقة
والشرر يتطاير منها . . والعرق الذي يتصبب بهما إذا كان الجو
شتاءً وبارداً . . والشعر وقد وقف في فزع وانزعاج والعروق وهي
تضرب في نفور وقسوة . . والقلب يدق في لفة وسرعة . . واللسان يخطيء

والخلق قد جف .. والجسم يرتجف بأجمعه والنفس تنادى بالعدوان والاعتداء وتشتاق إلى رؤية الدم .. ولو عرف الإنسان ما أثر الغضب عليه .. وما تسببه الرغبة الجاشحة في تبادل العدوان نتيجة الغضب لأيقن تماماً بأن الغضب يؤذى النفس أكثر مما يؤذيها أى اعتداء وقع ونتج بسببه الغضب .. إن الغضب يرفع الدم إلى أبعد حالاته وإلى أرفع مستوياته .. وإنه من أهم وأخطر أسباب اضطرابات القلب .. بل قرحة المعدة تعتبر النتيجة الأكيدة والعلامة المميزة لنوبة الغضب التي تمتلك الإنسان .

ولا يهدف الشيطان بدفع الإنسان إلى الغضب إلا إلى الإضرار .. الإضرار بالإنسان نفسه والإضرار بغيره .. وهكذا يحاول الشيطان مع الإنسان أن يثير فيه الكيد والبغضاء والكراهية والنبض وما ذلك إلا ليقتل الإنسان أخاه وما وقعت جريمة قتل إلا والشيطان هو الدافع إليها والمحرض لها بل إن من الأنبياء من تمكن الشيطان من دفعه إلى قتل غيره كما يقرر القرآن الكريم أن نبي الله موسى قتل من استغاث منه الذي من شيعته وما كان ذلك إلا بفعل الشيطان حيث تقول الآيات الشريفة :

(وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ

عَدُوُّهُ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ
الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ .

ولا تعتبر وسوسة الشيطان للإنسان لقتل غيره عجباً كما تعتبر
وسوسته له لقتل نفسه .. فالشاهد لكل إنسان أنه كثيراً ما تمر به لحظات
يجد دافعاً قوياً له ليقتل نفسه ويستمتع نداء خفياً يدعو به بالحاح لأن
يزهق نفسه بل كثيراً ما اقترب الإنسان من نافذة عالية فإذا به يحس بقوة
خارجة عن إرادته تدفعه دفعاً قوياً لأن يأتي بنفسه من النافذة .. أو يمسك
بسلاح فإذا به يوجهه مرغماً إلى نفسه وكأنه قد قرر قتل نفسه ..
ويختار الإنسان في تكييف هذا الموقف .. وتعليل السبب .. إنه
الشيطان الذى يحاول محاولة جادة مستمرة يائسة فى دعوة متصلة
للإنسان لأن يقتل نفسه . . ولوعاد المنتحر لحياته وسئل لماذا وكيف
انتحر ؟ . ما استطاع أن يجيب على السؤال .. بأكثر من أنه استجاب
لرغبة داخلية واستمع لدعوة لا يعرف مصدرها ولم يستطع لحظة
الانتحار أن يقاوم هذه الرغبة أو ينصرف عن هذه الدعوة .. ويتفق
العلماء على أن المنتحر لحظة انتحاره إنما يصاب بجنون .. وهذا الجنون
يجعله يفقد القدرة على التمييز بين الخطأ والصواب .. فيكون بذلك
فى خضوع تام واستسلام كامل لدفعة الشيطان له .. لأنه إذا لم
تكن للشيطان سيطرة عليه فاماذا اتجه بنفسه إلى هلاكها .. ولم يتجه
برغبته إلى الحفاظ عليها . ؟ . ولقد أثبتت الدراسات العلمية والتجارب
العملية الطبية أن الشيطان فى محاولات مستمرة لكل إنسان يدفعه فيها

لقتل نفسه .. ويقول الدكتور بيتر شتا نيكرون العالم البشرى والنفسانى فى كتابه (لا تقتل نفسك) : « إننا نحمل فى طوايانا بذرة هلاكنا لأننا ميالون إلى القضاء على أنفسنا .. ويقرر فرويد أن كل إنسان من البشر بلا استثناء لديه دافع إلى إعدام نفسه ولكن ذلك الدافع يختلف فى مقدار وقوته باختلاف الأشخاص . فالواقع أن النفس البشرية لغز مستعص على الحل . فبينما ترى الإنسان يتشبث بالحياة بكل ما يملك من قوة وإصرار وبكل ما فى أصابعه وراحته من عزم وبأس إذا برسالة غامضة من نقطة خفية تصل إلى هذه الأصابع أن أطلق ما تتعلق به واستسلمى لأعماق الهاوية المظلمة التى تغرقها . والواقع انه لا يخلو أى إنسان منا من دافع إلى هلاك نفسه والقضاء عليها وإن كان ذلك أمرا صعب التصديق لأول وهلة . ويتخذ هذا الدافع صوراً متعددة فهو فى بعض الأشخاص قوة جارفة وفى بعضهم الآخر ميل ضعيف جداً إلى درجة الوهن والحمود إنه كالبركان القاتم .. ولنضرب مثلاً يساعد على توضيح ذلك فنفرض أنك تطل من نافذة فندق فى طابق مرتفع جداً فتراعى لك السيارات والناس فى الشوارع من تحتك كأنهم قطعان من النمل وتشعر بالدوار والفرع لذلك العلو فتتشبث بجوانب النافذة ولا تطل إلا بحذر شديد فاماذا هذا التشبث والحذر ؟ . ليس معنى هذا طبعاً أن الغرفة قد مالت تحت قدميك أو أنك أصبحت فى غير مأمن فعلاً بل إنك تفعل ذلك لأنك أحسست فى أعماقك بقوة ما تشبه كثيراً قوة الجاذبية تجذبك إلى خارج النافذة وهى تلح عليك فى القفز منها فتتشبث أنت بالنجاة . ومن الناس نَفَرٌ لا يفهمون هذا الإحساس ولكن هناك فريقاً

أكبر يحسون ذلك الإحساس بشكل حاد جداً ومنهم من لا يأتون بأنفسهم حتى ولو على النظرة الأولى .. وأعرف أشخاصاً لا يقبلون المبيت في طابق أعلى من الثالث مهما كانت الظروف ويتعللون لذلك بأنهم ربما مشوا في نومهم ففتحوا النافذة وقفزوا منها .. وهناك نفر قد يقبلون المبيت ولكنهم لا يجسرون على النوم والنوافذ مفتوحة مهما كانت شدة الحر .. وتطبق هذه الأعراض على من يتناولون السكاكين فيحاول نفر طعن أنفسهم بها ومن الخير لك أن تعرف مضمون هذه الحقيقة حتى تتسع أمامك الفرص لتعطيل عملية قتل نفسك بنفسك ولولشلها شلاً تاماً إن أمكن وهذا هو الدكتور توماس سلمون رئيس اتحاد التحميل النفسى السابق فى أمريكا يقول لاشك أنه قد خطرت لكل واحد منا فى وقت ما من حياته فكرة الانتحار على اختلاف فى درجات العنف والضعف » .

وهكذا يحاول الشيطان جاهداً أن يدفع الإنسان إلى قتل غيره أو إثارته حتى يقتل نفسه وفى محاولات الشيطان إيذاء الإنسان لا يقتصر عمله على دفعه إلى الانتحار أو قتل غيره .. وإنما يحاول أن يثير فيه مختلف الأحاسيس والشعور حتى يفسد عليه حياته .. ومن أهم وسائل ذلك ما يبشه فى نفس الإنسان من مخاوف كاذبة وعديدة ومختلفة الأشكال ومتباينة الصور ومتفاوتة الدرجات .. والفارق بين المخاوف الطبيعية وبين تلك التى يثيرها الشيطان جد واسعة وواضحة .. فالمخوف صفة طبيعية يحافظ بها الإنسان على حياته .. فالإنسان لا بد يخاف النار .. حتى لا يحترق .. ولا بد يخشى البحر حتى لا يغرق .. ولكن إذا ما تمكن

الشیطان من الإنسان فضاعف من المخاوف ورفع حدها وغير من حقیقتها فإنها بذلك تصبح وسائل لتدمير الإنسان .. وما یصل الإنسان إلى هذا الحد إلا إذا استجاب لوسوسة الشیطان .. كأن یخاف الماء وهو فی الكوبة عندما یشرب .. أو یخشى نار السیجارة وهي مشتعلة فترتعد فرائصه لرؤيتها .. والمخاوف التي یثيرها الشیطان فی نفس الإنسان لاتقف عند حد .. وتتضح تماماً عندما ینحرف مزاج الإنسان أو یصيبه التعب أوتقع به نازلة وذلك یؤكد أنه فی هذه الحالة یكون انتصار الشیطان على الإنسان أسهل وأیسر وأوقع .. فیتع مالا بد منه .. إذ یخاف الإنسان ویدخل فی حلقة کریهة مدمرة من مخاوف لانهاية لها وفي الحقیقة لأصل لها .. فالإنسان یعمل جاهداً فی الحياة حتى یوفر لنفسه ولمن یعول وسائل المعیشة ویحاول قدر الاستطاعة ادخار ما یمکنه خوفاً من الفقر .. فكل إنسان یخاف الفقر ولذلك فإنه یعمل ولكن إذا دخل الشیطان من باب الخوف من الفقر فإنه یصور للإنسان تصورات مؤلمة وبالرغم من أن الإنسان یجد نفسه یتقدم فی عمله ویخلص فی أدائه وقد أحیط بضمانات كاملة لتوفير عیشه ومن یعول وشأنه فی ذلك شأن غیره تجده قد خاف من الفقر خوفاً یمحله لا یمکن أن یتسینغ الحياة بما فیها .. فهو دائم الشکوى دائم الاضطراب .. یتخیل ولده قد جاع .. وزوجته مرضت .. ووالده یسأل .. وأمه تحتاج .. ویثقل فی الضیاع من هذه الصور فلا یتطیع أن یعمل .. ویفسد ذلك التصور عمله فعلاً .. ویشتد توقعه للفقر .. ویخاف أن یفصل من عمله .. ویخاف من الجوع ومن الحرمان .

ولاشك أن كل إنسان يخاف المرض .. ولكن إلى حد ما ..
فهو لذلك يحرص على نظافة مأكله ومشربه والاعتدال في كل حاجياته
طلباً للصحة .. ولكن إذا وسوس له الشيطان .. ونفخ في مخاوفه من
المرض .. فلا يصافح إنساناً خوفاً من العدوى .. ولا يشرب من
كوب إلا بعد أن يعقمه .. ولا يبادل غيره الزيارة .. ويغسل يديه
عدة مرات كل ساعة .. ويصاب بهلوسة شديدة .. وانزعاج رهيب ..
إذا ارتفعت حرارته ارتفاعاً بسيطاً .. فوجة البرد تصيبه كما تصيب
الجميع .. يصيبه الذعر .. ولا يعتقد أن هذه الدرجة التي ارتفعت
إنما هي علامة مميزة لعلّة طارئة .. فلم يصاحبها عرض آخر .. بل يتخيل
أنها بداية أخبث الأمراض وأشدّها .. فيترقب الصراع .. وكثيراً
ما يصيبه حيث يترقبه .. ويتحسس أى مكان في جسمه ليرى هل
هناك أورام بدأت .. وقد يحس بها فعلاً .. عن طريق الوهم .. وقد
تكون حقيقة في مكان من الجسم طبيعية لم يلحظها من قبل .. وقد
تكون نتيجة كدم أو التهاب .. ولكنه يؤمن أنها أخبث الأمراض
وقد أصابته .. وقد يخاف من مرض في معدته .. أعراضه القىء ..
فيصاب به فعلاً .. والألم في مكان منها .. فيحس به .. يقيناً .. وفي الحقيقة
أنه الخوف صور له .. والوهم جسده له المرض .. والخوف من الغير ..
والخوف من كل شيء .. ولقد كان الخوف من أهم ما تناوله
الدراسات النفسية والطبية ووضع موضع البحث العلمى فيقول الدكتور
لبان عن الخوف « كل إنسان طبعى يعاني مخاوف لا تحصى ولكن
قد تتنكر مخاوفنا فتظهر في صورة خوف من الأماكن المرتفعة أو الغرف

الضيقة .. إنه لصحيح أن الإنسان أوتي نعمة القدرة على معرفة الخوف فإن الخوف كثيراً ما يكون الباعث على النمو والحافز إلى الاختراع ثم إن الخوف الذى يشعر به الإنسان عند الخطر الحقيقى مرغوب فيه ولكن معظم مخاوفنا لأساس لها .. فنحن أحياناً نخشى على صحتنا ونقلق على قلوبنا وورثاتنا وضغط دمنا وأرقنا فنتحسس نبضنا لنهتدى إلى دليل على المرض فى كل عرض برىء أولاً معنى له ، أو يعترينا التعلق على شخصيتنا ونشعر بالتزعزع وعدم الثبات ونحزن على ما نحن فيه . ونتوهم أن الغير يحتقروننا أولاً يرضون عنا . . وما أكثر ما كتب من مقالات وتوجيهات وعجالات ومطبوعات ومراجع وكلها تهدف إلى تحذير الإنسان من الخوف الذى يثته الشيطان فى نفس الإنسان من غيره .. وهن نفسه .. ومن أى ظروف تحيطه .. وقد سبق القرآن الكريم إلى إيراد هذه الحقيقة الهامة حيث قرر أن الخوف إنما يثيره الشيطان ولا يستجيب له إلا من تولاه وذلك بالنص الشريف :

(إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ
وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) .

ولخطورة وسوسة الجن على الإنسان فإن القرآن الكريم قد قدم
وسوسة الجن على وسوسة الناس وذلك فى النص الشريف :

(الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ . مِنَ الْجِنَّةِ
وَالنَّاسِ) .

وتتعدد وسائل الشيطان لتثير في نفس الناس الأسف والخوف .
ومن ضمن هذه الوسائل ما يدفع به الشيطان الإنسان لأن يتسار مع
أخيه فيميل عليه ويهمس إليه في جلسة عامة تضم غيرهما مما يجد
الجالسون معهما في نفوسهم حرجاً وأى حرج ويخلق فيهم ضيقاً
ويسبب لهم قلقاً وأسفاً .. وبهذا فإن النجوى من الشيطان وهذا ما قرره
القرآن الكريم في آياته الشريفة في مثل النص الكريم :

(إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَلَيْسَ بِضَارٍّ لَهُمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ) .

وإذا ما حاول الإنسان أن يمتحن مايوسوس به الشيطان فإنه يجد
لايوسوس بخير وإنما دائماً يهتف بالشر ويبذل جهد الاستطاعة
وأقصى الطاقة ليوجه الإنسان إلى الشر والمنكر .. فهو يزين له طريق
الغواية ويدفعه إلى كل طريق فيه الإثم والمعصية وقد تكرر في القرآن
الكريم أن الشيطان إنما يأمر بالفحشاء والمنكر وذلك في مثل النص
الكريم :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ
وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ) .

(الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ
وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) .
وإذا ما تعرض الإنسان إلى ما يجب معه الرجوع إلى حكم فيه
فكثيراً ما يحاول الشيطان أن يصرفه عن الحكم الصادق السليم حسبما
جاء فيها أنزل الله ويضله بأحكام جائرة وضعها ظلمة أوفسقة
ابتغاء نفع دنيوى ومصلحة عارضة غير مستهدفين الحق أوالصدق
أوالعدل وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا
أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا
إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ
أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا) .

وإمعاناً فى ضلال الإنسان فإن الشيطان لايترك له فرصة لأن
يسترجع فيها نفسه ويقيم فيها عمله ليرى فى أى طريق يمشى وأى اتجاه
يسلك وإلى أى غاية يتجه.. فإن الإنسان لاشك إذا ما تمعن فيما يوسوس
به الشيطان ويستوعب اعتراضه ويقف على أهدافه ويفحص النتائج ويتمدر
العواقب فإنه لاشك يعصى الشيطان تماماً ويخالف الاتجاه الذى يدفعه
إليه مخالفة تامة ولكنه لايترك له هذه الفرصة إذ يظل يزين له عماه
ويحسن له من فعله حتى يختلط على الإنسان الأمر بل ويرى فيما يوسوس
به الشيطان وكأنه الخير وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ . وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) .

كما أنه يحاول أن يصرف الإنسان بطرق مختلفة ومحاولات شتى عن التضرع لله فإن الإنسان في حياته لا يسلم من شدة تصيبه ولا يجد ملجأ إلا الله يتوجه ويتضرع سائلاً إياه أن يخفف عنه مصابه وأن يمنحه من القوة والصبر ما يجعله يتحمل قسوتها ويتغلب على شدتها وما من شك أن كل إنسان قد مارس في تجربة عملية بنفسه كيف أن التضرع لله سبحانه وتعالى هو أول خطوة من خطوات التغلب على كل الصعاب إذ بمجرد أن يتوجه الإنسان بقلبه إلى الله ويدعوه ويحس بأنه يقف بين يديه يناديه ويدعوه ويتوسل إليه ويتضرع سائلاً العون يجد السكينة بدأت تخامره وكذلك الصبر والقوة .. وإن الضراعة لله جل شأنه تؤثر على الإنسان وتزيل من حدة مصابه فهي دعاء إلى الله أن يزيل المحنة ويكشف الغمة أيا كان قدرها على الإنسان ومهما تخيلها .. ولا شك ليس غير الله سبحانه وتعالى هو القادر على كل شيء وهي وسيلة بها تنزل السكينة في النفس وتحس بالأمان وقد أثبتت الدراسات العلمية أن التضرع لله فيه الشفاء كل الشفاء من كل ما يصيب الإنسان عضوياً ونفسياً فيقول ولیم جیمس أستاذ الفلسفة (إن أمواج المحيط بالمصطخبة المقلبة لاتعكر قط هدوء القاع العميق ولا تقلق أمنه ..

وكذلك المرء الذى عمق إيمانه بالله ، خليق بألا تعكر طمأنينته
التقلبات السطحية المؤقتة ، فالرجل المتدين حقاً عصى على القلق
محتفظ أبداً باتزانهِ ، مستعد دائماً لمواجهة ما عسى أن تأتى به الأيام
من صروف) .

ويقول ديل كارنيجى (لماذا لانتجه إلى الله إذا استشعرنا القلق ؟
ولماذا لانؤمن بالله ونحن فى أشد الحاجة إلى هذا الإيمان ؟ ولماذا لانربط
أنفسنا بالقوة العظمى المهيمنة على هذا الكون ؟ ولايبعد بك عن
الصلاة والضراعة والابتهاال أنك لست متديناً بطبعك أوبحكم نشأتك
ووثق أن الصلاة والضراعة سوف تسدى إليك عوناً أكبر مما تقدر
لأنها شىء عملى فعال) ويقول الدكتور الكسيس كاريل الحائز على
جائزة نوبل فى الطب والجراحة (لعل الصلاة هى أعظم طاقة مولدة
للنشاط عرفت ليومنا هذا . وقد رأيت بوصفى طبيباً كثيراً من
المرضى فشلت العقاقير فى علاجهم فإما رفع الطب يديه عجزاً وتسليماً
تدخلت الصلاة فأبرأتهم من عللهم .. إن الصلاة كمعدن الراديو مصدر
للإشعاع ومولد ذاتى للنشاط وبالصلاة يسعى الناس إلى استزادة
نشاطهم المحدود حين يخاطبون القوة التى تهيم على الكون ويسألونها
ضارعين أن تمنحهم قبساً منها يستعينون به على معاناة الحياة بل إن
الضراعة وحدها كفيلاً بأن تزيد قوتنا ونشاطنا ولن نجد أحداً تضرع
إلى الله مرة إلا عادت عليه الضراعة بأحسن النتائج) .

ولذلك فإن الشيطان حتى يخول بين الإنسان وإنهاء أسباب حزنه
وقلقه وحتى يدفعه إلى الاستمرار فيما أصابه وحتى لا يمنحه فرصة اتخاذ

وسائل إزالة مصائبه والشفاء من نتائجها فإنه يصرفه عن التضرع إلى الله وما من إنسان نزلت به ملامة أو أصابه اليأس ولم يتضرع إلى الله فوراً إلا كان ذلك بفعل الشيطان .. وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ
وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ . فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا
تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

ومن ضمن المحاولات المستمرة التي يحاولها الشيطان مع الإنسان ليصرفه عن الطريق القويم ويجعله مستحقاً للعقاب والعذاب .. إلقاء النسيان عليه .. فيجعله ينسى ما لا بد أن يقوم به .. فالإنسان إذا وجد قومه الذين يجلس إليهم يخوضون في آيات الله وجب عليه أن يتبعد عنهم حتى يعودوا إلى حديث غيره .. وكثيراً ما يتدخل الشيطان لينسى الإنسان ما يجب عليه .. وإذ به فجأة يتغلب على شيطانه .. وبالتالي على نسيانه .. فلا بد أن ينهض مستنفراً .. وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ
عَنَّهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ
الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)

وأشد النسيان وأفضعه .. وأكثره إنمآ .. وأبعثه أسفأ وأوخمه عاقبة ..
والتي دائماً وأبداً يحاوله الشيطان مع الإنسان هو نسيان الإنسان ذكر
الله .. فالإنسان ينعض من نومه وهو يعلم تماماً أنه كان بنومه مع الموتى.
والله وحده أعلم أين كانت روحه طوال ليله وما كان أيسر من أن تنطلق
فلا تعود .. وشاء الله وحده وأعاد الروح مرة أخرى لينعض الإنسان
سليماً معافى ولا بد لذلك من أن يذكر الإنسان صاحب الفضل عليه
فيشكر الله ويحمده .. ويغتسل ويتوضأ ويتحرك ويصلى ولا بد من أن
يذكر الله على ما أنعم به عليه من نعمة الصحة والحركة فكيف من عليل
يتوق إلى مثل هذه الحركة فلا يستطيع .. ويجد الإنسان طعام إفطاره
فيتناوله وينزل في طريقته الصحيح ويبدأ الهضم علامة أكيدة على وفرة
الطعام وجودة الصحة ولذلك فإنه يجب على الإنسان أن يذكر الله
قبل الطعام ويحمده بعده .. ويغادر منزله ولا يعرف إلا الله إن كان
سيعود أم هذه آخر مرة يرى فيها منزله بعينه .. فوجب عليه أن يذكر
الله ويستغفره .. ويظل في عمله .. إن وفق فهي إرادة الله التي لا بد من
شكرها وحمدها وإن لم .. فهو تقدير الله .. لدفع أذى محتمل ..
وقضاء لا بد أن يتم ولا بد من حمد الله وشكره على ذلك . فإذا تدبر
الإنسان نفسه وحاله وجد أنه لا بد أن يشكر الله ويحمده كل طرفة
عين وانتباهتها .. فما يحركها إلا الله وما يحفظها إلا الله .. وفي كل
لحظة وفي كل نظرة يجد الإنسان آيات الله واضحة باهرة .. صريحة ..
صارخة : الشمس .. الأرض .. القمر .. النجوم .. الهواء .. الزرع ..
الماء .. الطير .. الحيوان كلها تنادى على الإنسان ليذكر بها الله ..

قالإنسان لا يستعمل عينه الاستعمال الكامل والمطلوب ولم يحقق الهدف
الأسمى لهذه النعمة التي أنعم الله عليه بها .. نعمة البصر .. فكل نظرة
إلى أى شىء حول الإنسان يجب أن تتموده إلى الحقيقة الأولى والكبرى
فى هذا الكون .. إن للوجود رباً .. خلق فقلس .. وشاء فكانت مشيئته ..
لذلك وجب الوصول عن طريق النظر إلى الإيمان بوجرد الله ووجدانيته
وقدرته وعظمته وقد قرر القرآن الكريم أن من الكفر عدم ذكر الله
بالعين وذلك بنص الآيات الشريفة :

(وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا .
الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا
لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا) .

وهكذا يجب على الإنسان أن يذكر الله بلسانه .. وبعينه ..
وبقلبه .. وبوجدانه .. وأن يحمده ويشكره وأن يظل على ذكر الله
طوال يومه وليلته .. إن نام فعلى ترديد اسم الله .. وإن نهض فعلى
حمد الله .. وطوال ساعات يقظته لا يغادر الذكر قلبه ولا عقله
ولا وجدانه .. إنه مع الحياة بجسمه .. ومع الله بقلبه وبهذا يفوز العبد
بمغفرة وأجر عظيم ، وذلك بنص الآيات الشريفة :

(وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ
لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) .

ولعل حقيقة قدر ذكر الله تتضح من الآية الكريمة .

(اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ
إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ
أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ)

ولذلك فإن الشيطان يحاول جاهداً أن ينسى الإنسان ذكر الله
ولا ينجح في ذلك إلا إذا استحوذ على الإنسان فإذا تمكن منه فقد
خسر الإنسان دنياه وآخرته وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(استَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ
حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ)

وكل رغبة تتولد في الإنسان للانحراف به عن طريق الطاعة لله
سبحانه وتعالى وتسليم وجهه له عز شأنه تماماً وكاملاً إنما هي دفعة
من الشيطان للإنسان ومحاولة منه حتى يحول بينه وبين طريق الهداية والطاعة ..
فإذا اتجه الإنسان إلى غير الطريق المستقيم كان من السهل على الشيطان
أن يتولاه إلى هاوية الضلال وسوء العاقبة وبئس المصير .. فعندما
ترى إنساناً يسير في الطريق وقد انتفخت أوداجه وشمخ برأسه وقوس
صدره إلى الأمام ليختال بنفسه ويتعجب بهيئته ويتعالى على غيره ..
فاعلم أن الشيطان يغالبه ويكاد أن يغلبه .. فإن هذه هي طبيعة الشيطان ..
الكبر والاستهتار والغرور .. وأما الإنسان فلماذا يتعالى على غيره ..
وهو وغيره من أصل واحد .. وذرية أم واحدة وأب واحد؟ ..

ولماذا يتعجب بهيئته وهو من تراب . ؟ ولماذا يعتز بجسده وهو يعلم ما بداخله من أحشاء .. ويعلم ما بداخل هذه الأحشاء من نفايات وفضلات ؟ ولماذا يختال بنفسه وهو إلى مصيره المحتوم .. فشبابه إلى نهاية .. وقدرته وقوته إلى فناء . وهو إلى موت سيحين ولكل إنسان وقته المعلوم .. ولذلك فإن القرآن الكريم قد وصف ما يجب أن يكون عليه الإنسان في مثل الآيات الشريفة :

(وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) .

(وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا) .

وعندما يتجه الإنسان إلى غيره يسأله ما يجب أن يسأل الله به ويعتقد أن قضاء الحاجات بيد غير الله ويشرك في حكم الله ما هو دون الله فإن الشيطان إنما يقوده إلى طريقه ويدفعه إلى الاقتداء به وعندما يتجه الإنسان إلى أى طريق من طرق الفساد إنما لا يكون فى طاعة الله والتسليم له إذ لم يستجب لقول الله سبحانه وتعالى فى الآيات الشريفة مثل :

(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)

ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى قد أمر الإنسان بأن يدخل في طاعة الله طاعة كاملة وأن يكون تسليمه له تسليمًا تامًا وفيما عدا ذلك فإن الإنسان يكون قد اتبع خطوات الشيطان وذلك في النص الشريف :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً
وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) .

وتستمر محاولات الشيطان مع الإنسان في صورها المختلفة وأشكالها المتباينة وكلها تهدف في جدية وإصرار إلى تحويل خط سير الإنسان إلى جهة المعصية ما أمكن للشيطان ذلك وهو في ذلك إنما يتعمد الإضرار بالإنسان باجتذابه إليه في طريقه ليكون معه في عذاب الآخرة .. وقد يكون السبب في محاولات الشيطان باطل اعتقاده أن مشاركة الإنسان له في عذابه إنما فيه تخفيف عليه .. إذ أن جهنم هي النتيجة الحتمية للإنسان الذي أضله الشيطان فأطاعه وذلك بنص الآيات الشريفة مثل :

(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ . وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ
مُسْتَقِيمٌ . وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا
تَعْقِلُونَ . هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ . اصْلَوْهَا
الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) .

وسيجتمع الإنسان والشیطان حول جهنم للحساب وهى الجزاء
المحالة للظالمين وذلك بنص آیات القرآن الکریم :

(فَوَرَبُّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُخْضِرَنَّاهُمْ
حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا . ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ
أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِثًّا . ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ
هُمُ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا) .

وقد تكون محاولات الشیطان لضلال الإنسان إنما یعتقدها وسيلة
لمحاولة تبرئة نفسه يوم القيامة حیث یشهد على الإنسان بالضللال ویحاول
أن یلصق بالإنسان كل أسباب الضلال ومن ثم یتحقق عقابها كجزاء
عادل على نتائجها وذلك حسبما تشير إلیه الآیات الکریمه :

(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ . وَجَاءَتْ
كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ . لَّقَدْ كُنْتَ فِي
غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ
حَدِيدٌ . وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٌ . أَلْقِيَا فِي
جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ . مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ .
الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ

الشَّيْطَانِ . قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ . قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ) .

وهكذا يعتقد الشيطان أن تخصمه للإنسان يوم القيامة فيه الوسيلة لمحاولة إظهار تيرثته نفسه وإلصاق الضلال بالإنسان بنون سبب من الشيطان .

وبمجرد أن ينجح الشيطان في محاولاته مع الإنسان بصرفه عن العبادة أو إدخال الشك في نفسه أو إبعاده عن الطريق المستقيم طريق الحق واليقين يتركه ليتخبط ويمادى في الضلال بل إنه علاوة على ذلك يقف منه موقف الشامت الذي يسره ما وقع عليه من الأذى والضرر ويتهرب من المسؤولية تماماً .. وكثيراً ما يحس الإنسان بذلك وهو في الدنيا فبعد أن يرتكب من المعاصي ما لا يستطيع إصلاحها أوردتها يقف ليجد نفسه وحيداً مع ذنبه ويحس بفرحة الشيطان فيه ويندم ولات ساعة مندم فتند وقعت المعصية وقد تكون من المعاصي التي ألحقت بالإنسان أو بغيره الضرر مما لا يمكن معه إزالته .. ويقرر القرآن الكريم أن بعض الكافرين ممن تولاهم الشيطان قد خرجوا من ديارهم في جماعة يتفاخرون بأنهم في طريقهم لصد الناس عن سبيل الله بحرب الإسلام ورجاله وكان الشيطان علاوة على توليه لهم بزين لهم أعمالهم الآثمة قاطعاً لهم الوعد بأنه لا غالب لهم وأنه سيعاونهم ويحميهم وينصرهم على أعدائهم .. فلما التقى الجمعان تراجع الشيطان وولى هارباً منهم

وأعلن براءته منهم حيث رأى مالا يستطيع هؤلاء الكفار رؤيته ..
فقد رأى الملائكة تقاتل مع المسلمين ولذلك فقد خاف الله وخشى
من المسئولية فهرب منها وذلك بالنص الشريف :

(وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا
وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ
مُحِيطٌ . وَإِذْ زَيْنَ آلِهِمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ
لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي لَأَكُونُ لَكُمْ فَلَمَّا
تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ
مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ
الْعِقَابِ) .

ولا يقتصر تهرب الشيطان من مسئوليته مع الإنسان في الدنيا إذ
يتهرب منها في الآخرة كذلك . . بل إنه في الآخرة يلقي باللوم كل
اللوم على الإنسان ويقرر له الحقيقة التي كانت قد غابت على الإنسان
في دنياه إن وعد الله هو الحق وإن وعد الشيطان هو الباطل وفي ذلك
تقول آيات القرآن الكريم :

(وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ
وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ

سُطَّانَ إِلَّا أَنْ دَعَوْتَكُمْ فَاسْتَجِبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي
وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ
إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

ومحاولات إيذاء الإنسان التي يبذلها الشيطان جاهدًا للإضرار به
ليست قاصرة على ما يوسوس له به .. أو ما يدفعه إليه .. أو ما يصوره
له بل إن هناك ما هو أخطر من ذلك وأشدَّ أثرًا إذ قد يتخذ
الشيطان عملاً إيجابياً ضد الإنسان فيمسه مساً يجعله يحس بوجوده
داخل جسمه وفي نفسه إحساساً صحيحاً عملياً فيضطرب بذلك حال
الإنسان ويصاب بأعراض كثيرة وقد سبق القرآن الكريم إلى
تبيانها وإيضاحها فتقول آياته الشريفة :

(وَإِذْ كُرَّ عِبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ
الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ) .

وهذا تقرير قاطع على أن الشيطان يصيب الإنسان بحس يدفعه به
إيجابياً إلى ما ينتج عنه التعب للإنسان والعذاب .. تعب الارتباك وعذابه
وتعب ما يحسه الإنسان كأنه مريض وعذابه .. كما تقول الآيات
الكريمة

(قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا

يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي
اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ
يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى
وَأْمُرْنَا لِلنُّسْلِمِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) .

وإن الحيرة التي يسببها الشيطان للإنسان من أخطر الأمراض التي
تصيب الإنسان فالحيرة نوع من القلق وفرع منه ويقول العلم إن الحيرة
بمثابة نار هادئة تحرق النفس حرقاً بطيئاً حتى تحطمها تماماً وأنها
استهلاك لطاقة الأعصاب بل والعضلات دون مبرر على الإطلاق ..
فهى مجهود ضائع على الإنسان .. يصيبه بالتعب والإرهاق .. دون
أن يكون للمجهود أى ناتج يعرض هذا النقد العصبى والعضلى كما
تقول الآيات الكريمة :

(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقْوَمُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ
الَّذِي أَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) .

أى يستطيع الشيطان أن يمس الإنسان بحيث يجعله يتخبط ..
والتخبط المطلق هو التخبط فى الحركة .. فلا يستطيع الإنسان التحكم
فى سيره .. فيسير وكأنه يترنح .. من دوار ودوخة .. ويحس كأن
الأرض تميد به .. أو يفقد القدرة على تقدير الخطوة المتزنة لقدمه ..
أو حساب المسافة الصحيحة لها .. والتخبط فى الحديث .. فلا يعى
ما يقول .. ولا يستطيع أن يربط بين ما قال وما يقوله وما يجب أن

يقوله بعد ذلك .. والتخبط في الفكر .. والتخبط في العمل .. والتخبط
ما هو إلا فقدان الإدراك الصحيح من الإنسان لأي شيء يهتم به
أو يفكر فيه . وبلدهى أن هذه هى علامات الجنون .. ويصيب مس
الشیطان للإنسان بأمراض قد تتفق أعراضها مع أمراض أخرى ..
وقد تتميز فتختلف عن أعراض الأمراض الأخرى كلها .. وبذلك
إذا عولجت على أنها أمراض مؤكدة أعراضها .. فلا يستجيب ذلك المرض
لأى علاج .. وأما إذا ما اختلفت فإنها كذلك لا يجدى معها العلاج .
والمس كباقي إصابات الشيطان يحاولها مع الإنسان عن طريق روحه
وليس عن طريق جسده .. فجسد الشيطان من نار لا يستطيع به أن يقترب
من الإنسان وإلا أحرقه كما لا يستطيع أن يظهر به وهو على حقيقته ..
وإنما يوسوس للإنسان عن طريق ما ينفثه في نفسه من روحه .. وعند
المس يطلق الشيطان روحه بحيث تؤثر تأثيراً إيجابياً في عقل الإنسان .
وتروى النسخ المتداولة من الأناجيل أن سيدنا عيسى قد أخرج
الشیطان من كثير من المرضى الذين كان المس قد أصابهم بحالات
مرضية ويجنون أيضاً في إنجيل متى نجد النص :

(وفيما هما خارجان إذا إنسان أخرس مجنون قدموه إليه . فلما
أخرج الشيطان تكلم الأخرس فتعجب الجموع قائلين لم يظهر قط مثل
هذا في إسرائيل . أما الفريسيون فقالوا برئيس الشياطين يخرج الشياطين)

وفي إنجيل مرقس نجد النص :

(وكان في مجتمعهم رجل به روح نجس . فصرخ قائلاً آه مالنا لك
يا يسوع الناصري . أتيت لتهاكنا أنا أعرفك من أنت قدوس الله .

فأنهره يسوع قائلاً : اخرس واخرج منه . فصرعه الروح النجس وصاح بصوت عظيم وخرج منه) .

وفي انجيل لوقا نجد نصاً يشير إلى أن الإنسان قد يمسه أكثر من شيطان إذ يقول :

(وعلى أثر ذلك كان يسير في مدينة وقرية يكرز ويبشر بماكوت الله ومعه الاثنا عشر وبعض النساء كن قد شفين من أرواح شريرة وأمراض . مريم التي تدعى المجدلية التي خرج منها سبعة شياطين) ويمكن أن يستمر مس الشيطان للإنسان سنوات عديدة ففي إنجيل لوقا أن امرأة كان بها روح أضعفها وكانت منحنية بسببها ولم تقدر أن تنتصب البتة ثمانية عشر عاماً ، فوضع سيدنا عيسى يده عليها فاستقامت وقال (هذه هي ابنة ابراهيم قد ربطها الشيطان ثمانى عشرة سنة أما كان ينبغي أن تحل من هذا الرباط في يوم السبت) .

ومس الشيطان للإنسان كان موضع الاهتمام لما يسببه هذا المس من أمراض مختلفة وتشير أقدم صفحات التاريخ إلى محاولات الإنسان المستمرة لعلاج المس وإخراج الشيطان من الإنسان فنذ أن قدم إنسان الكهف القرابين إلى أصنامهم لترضى عنه وتزيل منه وعكة الشيطان وهو يحاول مجاهداً لإيجاد الوسائل التي يعتقدونها الطريق إلى إخراج الشيطان . . فنجد أبوقراط الذي عرف بأبى الطب يهتم بوسائل العرافة والسحر ومحاربة الشياطين وهو الذي قال عن الصرع الذي وصفوه بأنه المرض المقدس إنه خال من القداسة . . ثم جالين أمير الأطباء حيث يهتم باتخاذ الحديد من طرق طرد الشياطين ثم كرامر واسبرنجر وقد

ذاع في زمانهما أنهما قاتلا أكثر من سبعين أميراً من الشياطين وسبعة ملايين وأربعمائة وخمسة آلاف وأكثر من الشياطين الأقل درجة منهم .. ولقد كانت الفكرة السائدة والتي ظلت فترة طويلة تبلغ مئات السنين هي السيطرة على كل وسائل العلاج .. تلك التي كانت تقول بضرب الشيطان لإخراجه من جسد المريض بل وحتى إلى عهد قريب كان الجراح العظيم توماس ويليز من أكبر أطباء التشريح يقرر أن خير علاج لمرضى العقول هو الركل والقيد . ولذلك كان البروفيسور كالين ينادى بأن معظم حالات الاضطرابات والتي لا سبب عضوى لها لا تشفى إلا بشد الوثاق والضرب وقد نادى الدكتور ريل الألمانى والإخصائى فى الأمراض العقلية بما يسميه العلاج التعذيبى الذى لا يضر .

أما العلاج بالسحر والرقى والتمائم والتنويم فإنه بدأ ببداية إحساس الإنسان بالمرض واستمر معه إلى عهد قريب ولعل من أعجب هذه الوسائل تلك التى بدأت فى القرن السابع عشر وأحدثت ضجة عالمية فى كل أنحاء العالم وهذه الوسيلة أحدثها الطبيب النمساوى فرانز أنطون ماسمر وأسماها العلاج السحري وعرفت بعد ذلك بالمسمريزم نسبة إلى اسمه وإن كان قدم للمحاكمة بتهمة الشعوذة وحكم عليه بالإعدام إلا أن تجاربه وبحوثه التى وضعها لمعالجة المرضى عن طريق الهزات والإثارات التى تقوم بطرد الشياطين قد انتقلت إلى كافة أنحاء العالم واحتضنها الطبيب الإنجليزى اليوتسون الذى كان من ألمع رجال الطب الإنجليزى فقد كان رئيس جمعية الأطباء والجراحين الملكية وأستاذ الطب فى جامعة لندن وهو مخترع سماعة القلب وطرق فحص القلب والرئتين كما

يستعملها الأطباء اليوم وقد اعتزل كل هذه الأعمال ليتفرغ لتجاربه في
المسمرية التي تتلخص في اجتماع المرضى في غرفة خافتة الضوء
ويحول برمبل تبرز منه القضبان الحديدية التي يلمسها المريض في
مكان الله ويدخل مسمر على نغمات موسيقى هادئة ويلمس بقضيب
من الحديد يمسكه في يده المريض وعندما يصبح مسمر تعثرى المريض
نوبة هستيريه يفيق بعدها صحيحاً سليماً .. ومهما تكن طريقة مسمر
يعيلة كل البعد عن التخيل أو التصديق في عصرنا هذا .. فإنها لاشك
هي الأساس للتنويم المغناطيسى .. أما ما يتخذه الهنود من وسائل العلاج
تطرد الشياطين وشفاء الأرواح فإنها مختلفة وكثيرة ومتعددة وتفوق
التصور في هيئتها .. كما تفوقه في نتائجها .. فرغم غرابتها فإنها ذات
نتائج حاسمة في علاج كثير من الأمراض التي تعتبر من وجهة نظر
العلم مستعصية على العلاج .. ولعل التنويم المغناطيسى هو الوسيلة التي
يقيت بل وتقدمت وانتشرت في كل دول العالم على الإطلاق .. والعلاج
به إنما يتم بتأثير شخص قوى يقظ على شخص أضعف منه في حالة
وسط بين النوم واليقظة ويتم فيها طرد كل فكر متأثر بالمرض وإحلال
فكر صحيح سليم بعيد عن المرض في الإنسان .. ولا يعرف العلم
تفصيلاً ما يحدث في حالة العلاج بالتنويم ولا ماذا يتم ولا كيف يطرد
الفكر ولا كيف يحل محله فكر آخر . ولكن لعل ارتباط روجين في
تعاون وثيق وإخلاص يكون أقوى في تأثيره على الإنسان المريض
من تأثير الشيطان .. والتنويم المغناطيسى من ضمن الوسائل الهامة بل
والأساسية في العلاج الحديث ، ففي المؤتمر الأوروبي الرابع للأبحاث

السيكوسوماتية الذى عقد فى هـمبورج من بضعة أعوام فقط يتقرر أن التنويم وسيلة هامة جداً فى الانتقال بالعوامل والعمليات السيكوسوماتية وهى الجسمية والنفسية إلى الموضوعية بوصف أن التنويم ذاته أولاً نتيجة سيكوسوماتية وثانياً هو يعمل بطريقة سيكوسوماتية وثالثاً أن الموقف التجريبي فى التنويم يمكن تكراره إلى مالا نهاية وإن لم يثبت قط تمام الثبات بالنسبة للشخص الواحد . ويتقدم علم التنويم المغناطيسى ويعترف العلم بمكانته وتمنح أكبر الدرجات العلمية فى دراسته ويقول البروفسور برنهم إخصائى طب الأعصاب والتنويم المغناطيسى إن فى استطاعة الأطباء عن طريق التنويم المغناطيسى والإيحاء أن يأتوا بالعجائب .

والعلم الحديث قد عاد إلى دراسة المس دراسة علمية موضوعية فإن التقدم الكبير فى العلم لم يمنع إنسان هذا العصر من الاهتمام بدراسة المس بل بالعكس يتزايد اهتمام الإنسان بدراسة المس ولقد وصل العلم الحديث إلى نتائج قاطعة فى هذا الميدان ولقد عرف المس بأنه (غزو روح مشاغب لهالة إنسان أى حلوله فى مجموعة الاهتزازات الاثيرية التى تعلو الرأس التى يوجد فيها العقل ومراكز الحس جميعها فيسبب أمراضاً عصبية أو عضوية مستعصية) وبديهي أن الروح المشاغب أو الروح النجس يطلق على الشيطان وليس على روح الإنسان كما أن روح الإنسان الذى مات تنطلق إلى عالم آخر حيث تباشر حياة أخرى وحيث تعيش حياة البرزخ فيه ولا يمكن أن تعود هذه الروح الإنسانية لتعيش فى جسد إنسان لتعذبه أو تصيبه بالضرر دون هدف أو قصد بل وبلا إمكانية منها حيث إن الروح بانتقالها من العالم الأرضى أصبحت

بذبذبة يستحيل معها العيش في جسد آدمي تختلف يقيناً ذبذبته عن ذبذبتها .

ويقول العالم كارنيجتون عضو جمعية البحوث النفسية الأمريكية في كتابه (الظواهر الروحية الحديثة) عن حالة المس (واضح أن حالة المس هي على الأقل حالة واقعية لا يستطيع العلم بعد أن يهمل أمرها مادامت توجد حقائق كثيرة مذهشة تؤيدها . وما دام الأمر كذلك فإن دراستها أصبحت لازمة وواجبة لآمن الوجهة الأكاديمية فقط بل لأن مئات من الناس وألوفاً يعانون كثيراً في الوقت الحاضر من هذه الحالة ولأن شفاءهم منها يستلزم الفحص السريع والعلاج الفوري . وإذا ما نحن قررنا مكنة المس من الوجهة النظرية انفتح أمامنا مجال فسيح للبحث والتقصى ويتطلب كل ما يتطلبه العلم الحديث والتفكير السيكلولوجى من العناية والحدق والجلد) .

وفى كتاب (تحليل الحالات غير العادية فى علاج العقول المريضة) يقول الدكتور بل (لدينا الكثير الذى يصح أن نميط عنه اللثام وعلى الأخص ما كان متعلقاً بحالة المس الروحية باعتباره عاملاً مسبباً للأمراض النفسية والعصبية ولقد ظهر أن المس الروحي أكثر تعقيداً مما كان يظن أولاً . ولاتتألف الشخصية الماسة من نفس مخلوق غير مجسد ولآمن عقله وإرادته فقط بل هما فى الواقع شخصية مؤلفة من أشياء كثيرة . والشخصية الماسة المركزية وهى الشخصية التى اصطدمت أولاً بمجمع حواس الشخص المسوس وهى على وجه العموم قليلة المقاومة لإجحاءات الغير ومن ثم تصبح هذه الشخصية مطية سهلة لأولئك

الذين يرغبون في الاقتراب من أى إنسان بهذه الطريقة التي تبدو كأنها لا شأن لها إلا في الحصول على الترضية الخاصة لمجموع الأرواح الماسة كلها أو بعضها وبمضى الزمن يزداد التضام في هذه العملية حتى يتم في النهاية تلاشى الشخص المسوس الذي يصل إلى مثل هذه الحال تلاشياً تاماً . . ويظهر أن للأرواح الماسة ثلاث نقط اصطدام رئيسية هي قاعدة المخ ومنطقة الضفيرة الشمسية والمركز المهيمن على أعضاء التناسل وأما الضجة التي لا بد أن تحدث بهذا المس وتفاعلات الشخص المسوس فيمكن دراستها في مستشفيات الأمراض العقلية . . ومع ذلك فحينما يأتى ممارسو القوة الروحية الحديثون بالعجب العجيب في طرد الشياطين أو الأرواح الماسة ومداوة المرضى والمحرزين فلا يكون نصيبهم من بعض الأطباء إلا نظرة الزراية والاستخفاف .

ويقول الدكتور جيمس هايسلوب في كتابه عن المس (إنه تأثير خارق للعادة تؤثر به شخصية واعية خارجية في عقل شخص وجسمه ولا يمكن إنكار مكنة حدوث المس) .. ويرى بعض الأطباء كالدكتور كارل ويكلاند أن الجنون قد ينشأ من استحواذ روح خبيث على الشخص المريض فيحدث اضطراباً واختلالاً في اهتزازاته وأنه بالكهربائية الاستاتيكية تنظم الاهتزازات وتطرد الشخصية المستحوذة ويعود العقل إلى حالته الطبيعية دون تأثير شخصية ماسة له .

ولذلك فقد اهتم العلم الحديث بوسائل علاج مثل هذه الحالات وإن اختلفت الألفاظ واللغات التي وردت فيها طرق العلاج من المس فإنها كلها تتفق في الجوهر والأصل ، فالدكتور باورز أستاذ الأمراض

العصبية في جامعة مينابوليس بأمريكا يقول في بيان هذا العلاج (كنت في أيام شبابي أضحك ساخراً مستهزئاً بذلك الرأي القائل بأن الأرواح الحبيثة الشريرة المؤذية غير المتجسدة قد تحدث في ظروف خاصة اضطرابات جسمية أو عقلية خطيرة لبعض الناس وكنت أحمل في إحدى يدي كتاب بوختر المسمى القوة والمادة وفي اليد الأخرى كتاب هكل المسمى لغز الكون وأسخر من الرأي القائل بأن أى روح ابتداء من يسوع المسيح إلى العمة ماريّا تستطيع أن تساعد على إزالة بقايا الثوب الطينى الرث البالى الذى نرتديه الآن أو أن تزيل من العقل ذلك السم الروحى الذى يحول التفاعلات العقلية إلى هذيان الأبله المعتوه أو إلى خبل الجنون القاتل أو إلى يأس المالنخوليا المفجع . ولا يستطيع شخص ذكى أن ينكر أن هناك سبباً لمعظم الأمراض التى تصيب الإنسان وآه لو يعرف هذا السبب .

ونحن نعلم أن عشرات من الجرائم تحدث الأمراض المميزة لها لها إذا كان النشاط الفاجوسيتى أى المختص بالحلية الآكلة للدم منخفضاً أو كان المريض ضعيف المقاومة . ونعلم أن الغذاء الناقص وعلى الأخص الذى تنقصه بعض الفيتامينات أو الأملاح المعدنية يحدث لأمحالة كساحا أو بلاجراً أو اسقربوطاً أو أى مرض من الأمراض التى تنشأ من فقدان هذه المواد الخاصة . ونعلم أنه إذا كانت الغدد الصماء لا تؤدى وظائفها بحالة طبيعية أو إذا كانت تنهك بعض القوانين الأساسية لعلم الصحة أو كانت فقرات العمود الفقري قد انزاحت عن مكانها الصحيح أو كانت هناك أية بؤرة لاندري في مكان ما من الجسم فإن أمراضاً

معينة قد تظهر وتنمو . ونعلم أنه بالطب الباطني أو الجراحة أو طب الأسنان أو طب العظام أو بالعدسات الكاسرة أو بطاعة قوانين علم الصحة أو بتجنب الإفراط في جميع صيغه أو بغسل القولون أو بالعلاج النفسيولوجي أو العلاج الكهربائي قد تحدث معجزات في العلاج . وأعرف أيضاً من تجاربي الطويلة أنه قد يمكن الحصول على نتائج مذهشة في الحالات الوظيفية والعصبية باستخدام العلاج النفسي أو الإيحاء المغناطيسي . وقد برهنا أيضاً في أمثلة لا تحصى صدق المثل اللاتيني القديم القائل العقل السليم في الجسم السليم . فنحن قد عالجتنا فعلاً ألوف حالات الحلل العقلية بتطهير الجروح ومراكز العدوى في الجسم وبما يسميه الدكتور ديلاي — وهو من كبار الجراحين في نيويورك — تعقيم الدم برفع درجة حرارة الجسم ثم إبقائه في حرارة الحمى ساعة أو أكثر في كل جلسة . فباستخدام طريقة العلاج هذه التي هي أرق طرق العلاج أمكن إبراء كثير من الأمراض المعدية في وقت قصير مذهش بالنسبة لقصره بل إن بعضاً من تلك الحالات الباثولوجية من أمثال الشلل العام والالتهاب المفصلي والعصبى ومرض النوم وكثير من الأمراض الأخرى المزمنة أو المستعصية تستجيب للعلاج بتلك الحرارة الحمية المرتفعة .. ولكن بقطع النظر عن جميع معجزات العلاج التي تتم في دنيانا هذه كل يوم .. مازالت هناك معجزات أخرى في إبراء المريض والأعرج والأكسح والأعمى لا يمكن تعليلها ولا ينفع فيها العلاج الطبي أو الجراحي أو السيكولوجي أو الاهتزازي وهي أنواع العلاج التي نهتم بها في أيامنا هذه . تبقى بعد ذلك ألوف الحالات التي لم يجد فيها أشهر الأطباء وأشدهم تنطساً أدنى بارقة أمل والتي تم فيها مع ذلك

شفاء المرضى واستعادتهم الصحة والعقل خلال معجزة من معجزات الصلاة والابتهاال أو العلاج القدسى . ومن لغو القول أن ننسب هذه النتائج إلى تأثير الإيحاء لأن كثيرين ممن عولجوا بهذه الطريقة ونقحوا كانوا واقعين فى سبات عميق حينما بدأ المصلون صلاتهم وابتهالم بجوار فراشهم . وقد حدث فعلا فى حالات أعرفها أنا شخصياً أن ابتهل إلى الله أن يمنح المريض مساعدة قدسية وكان ذلك فى اجتماع ضم بعض أصدقاء المريض المحتضر وعقد فى مكان يبعد أميالاً عن مكان المريض . بل حدث مرة أن عقد الاجتماع فى مدينة أخرى نائية تقع فى منتصف القارة .. بل حتى المزارات أو ما يسمونها الأماكن المقدسة تساهم بنصيب كبير من البيانات على ذلك فزارات سان آن دى بوبر وسيدة لوردز والكعبة التى يقدها المسلمون فى جميع أنحاء العالم ويحجون إليها وضياف نهر الجانج وعشرات الكنائس والمعابد والآبار والعيون وغير ذلك قد اعتبرها الناس فى كل مكان وكل زمان مهبط معجزات عظيمة لاتصى) .

ويقول الدكتور الكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل فى الطب والجراحة (قد تحدث بعض المناشط الروحية فى أنسجة الجسم وأعضائه تعديلات تشريحية ووظيفية معاً . وتشاهد هذه الظواهر العضوية فى عدة حالات من بينها حالة الصلاة . ويجب أن نفهم أن الصلاة ليست مجرد تلاوة ميكانيكية للأدعية ولكنها تسام صوفى أو انغمار الوعى واستغراقه عند التأمل والتمعن فى قانون ينفذ فى دنيانا ويتجاوزها معاً . ومثل هذه الحالة السيكلولوجية ليست مفهومة وهى غير معقولة لدى

الفلاسفة والعلميين ومحظورة عليهم، ولكن الظاهر أن الشخص البسيط يحس بالله سبحانه كما يحس بحرارة الشمس . والمريض الذي كتب له الشفاء لا يصلي لأجل نفسه عادة ولكنه يصلي لأجل غيره لأن مثل هذا النوع من الصلاة يتطلب إنكار النفس إنكاراً كاملاً ، أى أنه يتطلب نوعاً أرقى من الزهد ويكون متوسطو الحال والمساكين أقدر من الأغنياء والمتنورين على هذا النكران الذاتي ، وحينها يكون للصلاة هذه الميزات فإنها تخلق ظاهرة غريبة إنها تأتي بمعجزة . ولقد آمن الناس في جميع البلدان وفي جميع العصور بوجود المعجزات والشفاء السريع الذي يصيب المرضى في أماكن الحج وفي بعض المزارات ولكن هذا الإيمان اختفى بتأثير أمام قوة العلم الدافعة خلال القرن التاسع عشر واستقر الرأي عندئذ بشكل عام لا على أن المعجزات لم توجد بتاتاً بل على أنها مستحيلة الوجود ، ولكن إزاء الحقائق المشاهدة خلال الخمسين سنة الماضية لا يمكن أن تظل قائمة وجهة النظر هذه . وقد بنينا رأينا الحالي بخصوص تأثير الصلاة في الحالات الباثولوجية على ما شاهدناه من المرضى الذين برثوا على الفور من أمراض مختلفة متعددة وتختلف عمليات العلاج قليلاً في شخص عنها في آخر ، والشرط الوحيد الذي لا يمكن الاستغناء عنه لحدوث ظاهرة الإبراء هو الصلاة . ولا حاجة لأن يقوم المريض بنفسه بالصلاة ويكفى أن يقوم بالصلاة لأجله شخص آخر بجواره ولأمثال هذه الأمور دلالتها العميقة ، فهي تظهر حقيقة بعض علاقات لا تزال طبيعتها مجهولة بين العمليات السيكلولوجية والعضوية وهي تثبت الأهمية المحسوسة للمناشط الروحية التي يهمل

بجثها كل الإهمال علماء الصحة والأطباء ، مع أنها تفتح للإنسان دنيا جديدة) .

وما زال العلم يجده ويجهده ليضيف في كل يوم الجديد الذي لم يكن معروفاً له من قبل عن مس الشيطان للإنسان وظواهره وأعراضه وعلاجه . وكل ما وصل إليه العلم قد سبقه القرآن الكريم إليه مع الفارق بين الطريقتين .. فارق يناسب المصدرين .. الله .. والعبد .. الخالق والمخلوق علاوة على سبق القرآن الكريم للعلم بأربعة عشر قرناً من الزمان .. كما أن العلم مهما وصل فلن يصل في نهايته إلى كل ما وصل إليه القرآن الكريم وقدره .. فالله سبحانه وتعالى خالق الإنسان ويعلم ما يفيد وما يضره .. وخالق الشيطان ويعلم ما يمنعه عن الإنسان وما يحول بينه وبين إيدائه والإضرار به .. بينما العلم إنما يدرس الظواهر التي يراها .. ويمجى التجارب العديدة التي يقترحها .. ثم يقرر ما يعتقد أنه وصل إليه بهذه الدراسة وهذه التجارب .. لذلك فإن ما جاء بالقرآن الكريم وهو وحى الله سبحانه وتعالى لخاتم رسله وأنبيائه فيه الوقاية وفيه الشفاء وصدق الله العظيم الذي يقول عنه :

(وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ)

ولقد أوضح القرآن الكريم للإنسان طرق الوقاية من الشيطان من كل المحاولات التي يبذلها لإيذاء الإنسان بالوسوسة له أو مسه أو التسلط عليه فتقول آيات القرآن الكريم :

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ

مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) .

ولذلك فإن أهم طرق الوقاية هي الإيمان بآيات الله سبحانه وتعالى والعمل بها والاستجابة لها وعدم الكفر بها إذ أن الانسلاخ منها وعدم التصديق بها والإعراض عنها هي سبيل قيام الشيطان بمتابعة الإنسان حتى يفضل ضللاً بعيداً ويصبح بذلك فريسة له يتعقبه إلى أن يجعله من أعوانه الذين لا يستطيعون الفكاك منه أو الابتعاد عنه .. وما ذلك إلا لأن آيات الله سبحانه وتعالى التي نشاهدها في الكون الكبير والتي نتلوها في الكتاب العظيم .. القرآن الكريم .. إنما هي السبيل إلى إيمان الإنسان إيماناً تاماً قوياً كاملاً بالله سبحانه وتعالى .. والنفس التي ملأها الإيمان بالله لا يجد فيها الشيطان مكاناً للوسوسة .. والقلب الذي انشغل بذكر الله لا يجد الشيطان فيه مجالاً للهمس والغمز .. والعقل الذي اطمأن إلى وحدانية الله لا يشغله الشيطان بما يزعمه به .. أو يثيره فيه .. أما من ابتعد عن ذكر الله .. والتصديق بآياته .. فإن نفسه .. وقلبه .. وعقله .. تكون في حالة إعداد واستعداد لتلقى ما يهمس به الشيطان .. وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) .

وكل محاولة من الشيطان لمس المتقين أو الوسوسة لهم مقضى عليها بالفشل فإن المتقين الذين يأتمرون بأمر الله وينتهون عما نهى عنه ويذكرون الله دائماً .. إذا حاول الشيطان أن يمسهم ليعميهم أو يصرفهم عن طريق الحق فإن تقوى الله وإيمانهم به يجعلهم يذكرون الله دائماً ..

فيتذكرون فوراً ما أنزل الله من آيات بينات فيها الشفاء من كل محاولة يبدلها الشيطان.. فيتبينون بما جاءت به الآيات طريق الحق .. الذى هم فيه.. وطريق الباطل الذى يدفعهم إليه الشيطان .. فيبصرون ويصبحون لذلك عصاة على الشيطان فى حمى بتقواهم من محاولاته ، وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ)

أما علاج الإنسان من مس الشيطان فإن القرآن الكريم قد أورد من الوسائل ما يجعل العلاج ناجحاً .. وشاملاً وأكيداً وسريعاً ومحققاً.. وقد سبق العلم الحديث بما قرره فى هذا الشأن .. بل إن العلم ما زال يبحث بعد .. إلا أن دائرة بحثه لا تتجاوز الأصول التى أوردتها القرآن الكريم . . وكل ما أوحى به الآيات الشريفة هى ما تدعو إليه التوصيات العلمية .. وتشير به كل الدراسات النفسية وتتخذ كل وسائل العلاج الحديثة مع تميز الوسائل التى أتى بها القرآن الكريم تميزاً بعيداً وكبيراً يناسب مصدره. فالقرآن الكريم يبدأ بإعداد الإنسان إعداداً نفسياً ملائماً بحيث يجعله يستجيب حتماً وفى عمق للعلاج فيقرر أن الله سبحانه وتعالى قد جعل عباده المخلصين فى عبادته فى حصانة وأمان من الشيطان حيث لا سلطان له عليهم وذلك بالنص الكريم حيث يخاطب الله سبحانه وتعالى الشيطان :

(إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) .

وإن الشيطان اعترف وأقر بأن عباد الله المخلصين في حصانة من غواياته وذلك بالنص الشريف :

(قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَزِيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ) .

ولكن محاولات الشيطان متواصلة ومتلاحقة ومتعددة الصور ومستمرة والإنسان بطبعه خطاء وكثيراً ما يخطئ .. بل كثيراً ما تجرّفه الحياة بأحداثها وتلهيه طرفاً عما يجب عليه من التفرغ الداخلى للارتباط بالله .. فيقع مالا بد منه .. حيث يصيبه الشيطان ببعض شره .. ويوسوس إليه بجانب من شكوكه .. وينفث فيه بعض سمومه .. ويصبح الإنسان موضع كيد الشيطان .. ولكن ذلك لا يجعل الإنسان ييأس من نفسه .. ولا ييأس لغيره .. بل ما أسهل محاربة الشيطان ، وما أيسر التغلب عليه إذ يؤكد الله سبحانه وتعالى للإنسان قوته وقدرته وضعف الشيطان أمام قوة الإنسان هذه حيث تقول الآيات الشريفة :

(فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) .

وكحلقة تالية من حلقات الإعداد النفسى للإنسان في علاجه من الإصابات الشيطان له تقرر آيات القرآن الكريم أن الإنسان في محاربته للشيطان إنما يستعين بالله وأن الله سبحانه وتعالى بفضلله عليه ورحمته به يحول بينه وبين اتباع الشيطان وذلك بالنص الشريف :

(وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا) .

كما أن الشياطين لا تنزل إلا على الآمنين .. الكاذبين .. وذلك بالنص الكريم :

(هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) .

وإذا ما استبد بالإنسان الشيطان فوسوس إليه .. وتولاه .. فأضله .. ثم كان وأصابه بعد ذلك بالمس كان لا بد من العلاج الذي أمر به القرآن الكريم .. وليس من المصادفة أن تشير الآية الشريفة إلى علاج همزات الشيطان ثم تتبعها الآية التالية بعلاج حضور الشيطان للإنسان إذ أن ذلك إنما ليؤكد أن خطوات إصابة الشيطان للإنسان إنما تبدأ بالوسوسة وإثارة الشكوك وإلقاء الهمز واللمز والغمز في نفس الإنسان فإذا ما تمكنت كان ذلك هو سبيل مس الشيطان للإنسان إذ تقول الآيات الشريفة من القرآن الكريم متتابعة .

(وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ .
وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ)

فاهمزات أولا ثم إذا استفحلت وزاد أمرها وتمكن بها الشيطان من الإنسان فإنه يمسّه .. وإذا كانت الاستعاذة بالله هي السبيل إلى وقاية الإنسان من الشيطان بكافة درجات إصاباته فإنها كذلك العلاج من الوسوسة

والهمزات .. ومن حضور الشيطان فى الإنسان ومسه له .. وإذا كانت وسائل العلاج بالعلم الحديث قد أوحى بالصلاة فإن الاستعاذة بالله سبحانه وتعالى التى تدعو إليها آيات القرآن الكريم كعلاج من إصابات الشيطان تدخل فيها الصلاة .. فالاستعاذة بالله هى الالتجاء إلى الله .. ويكون هذا الالتجاء بالدعاء والرجاء .. وخير وسيلة يلتجئ بها الإنسان إلى الله هى أن يقف بين يديه .. يدعو .. فى رجاء .. وهذه تتحقق بالصلاة .. فخير دعاء هو ما يدعو به الإنسان الله فى صلاته بآيات الدعاء الواردة فى القرآن الكريم .. كما أن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو فى سجود الصلاة .. وعندها يكون الدعاء مستجاباً قدر ما فيه من الرجاء .. وبذلك تكون الصلاة خير وسيلة لعلاج الإنسان الذى أصابه الشيطان بالوسوسة أو المس .. وإذا اشتد المس بالإنسان بحيث أقعده عن أداء الصلاة بالخشوع والانتباه الذى لا بد منه .. أو أبعدته عن الاستجابة لأى دافع للعبادة .. أو أخرجه عن جادة الصواب .. وأدخل الضلال فى نفسه .. وأصابه بالاضطراب فى عقله .. فإن علاجه يكون على غيره .. بأن يصلى عليه .. ويدعو له .. ويرجو الله فيه .. وقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم بأن يصلى على المسلمين .. ويدعو لهم .. وفى هذا توجيه بأن يصلى الإنسان على غيره ويدعو له .. وذلك بنص الآية الكريمة :

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) .

وتقرر آيات القرآن الكريم أن امرأة عمران استعازت بالله من
الشیطان الرجیم لابنتها مریم بعد أن وضعها مباشرة وكذلك استعازت
لذريتها من بعدها مما يؤكد دعوة القرآن الكريم للناس بالدعاء لغيرهم
والصلاة عليهم ورجاء الله فيهم وذلك بنص الآية الشريفة :

(فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي
سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ
الرَّجِيمِ) .

فحتى يكون الإنسان في وقاية تامة من الشيطان .. وحتى يعالج
نفسه من أضراره وإصاباته .. عليه بالالتجاء إلى الله .. والالتجاء الكامل
السريع .. وما أجمل ما يأمرنا به القرآن الكريم في النص الشريف
والأمر الإلهي الحكيم :

(فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) .

أى عليه بالصلاة .. فما أكثر الوقت الذي يجد الإنسان فيه نفسه خالياً ..
وما أسهل دخول الشيطان للإنسان في هذا الوقت .. وما أعظم أن
يشغل الإنسان فيه نفسه بالصلاة .. فركعات شكر إذا ما أحس الإنسان
بنعم الله عليه وارفعة متتابعة .. وركعات استغفار إذا ما استشعر الإنسان
في نفسه القصور عن أداء الشكر كما يمكن .. والتقصير في العبادة عما

يجب .. وركعات يؤديها الإنسان قربي إلى الله .. وركعات يهدي ثوابها للآخرين .. من الأحياء أو الأموات .. بالإضافة إلى الصلاة في أوقاتها .. تجعل الإنسان في حصانة تامة ووقاية كاملة من الشيطان .. وإذا أصابه أو مسه في لحظات .. وجدها الشيطان مهياة له .. فإن في الصلاة كذلك والإكثار منها .. والدعاء لله .. والرجاء في الله .. الشفاء كل الشفاء .. وعلى الصحيح أن يصلي للعليل .. وعلى السليم أن يدعو للمريض .. وعلى الإنسان أن يصلي لنفسه قبل أن يفقد القدرة على الصلاة .. وأن يدعو لنفسه قبل أن يعجز عن الدعاء .. وأن يرجو الله قبل أن يمتنع عليه الرجاء .

عليه أن يلتمس في فسحة عمره .. وإمكانات طاقته .. اللحظات التي يستجاب فيها الدعاء .. فيدعو الله .. فما أوسع باب الدعاء .. وما أعظم رحمة الله بعباده ... حينما كتب على نفسه إجابة الدعاء .. بنص الآية الشريفة :

(وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) .

وهكذا يقرر القرآن الكريم أن الوقاية والعلاج من كافة محاولات الشيطان مع الإنسان إنما تكون بالصلاة .. والدعاء .. والالتجاء إلى الله .. بالرجاء .. وهذه هي الاستعاذة بالله سبحانه وتعالى التي تكرر الأمر بها وترددت الدعوة لها في كثير من الآيات الشريفة كوقاية وعلاج من أمراض الشيطان بل من كل إصابات عالم الجن .. وذلك في مثل الآيات الشريفة والأوامر الإلهية الحكيمة :

(وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ)
(وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ .
وَأَعُوذُ بِكَ رَبُّ أَنْ يَحْضُرُونِ) .

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) .

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ
النَّاسِ . مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ . الَّذِي يُوَسْوِسُ
فِي صُدُورِ النَّاسِ . مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) .

وإن من خير ما يقوم به الإنسان في حياته ألا يتبع خطوات
الشیطان حيث أوضح الله جل شأنه في عديد من آيات القرآن الكريم الشريعة
محاولات الشيطان لإغراء الإنسان ونتائجها ولذلك فقد تكرر أمر الله
سبحانه وتعالى للإنسان ألا يتبع خطوات الشيطان أمراً صريحاً ونصاً
واضحاً في أربع آيات كريمة منها :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ)

هذا أمر الشيطان مع الإنسان .. أما ماذا يقوم به باقي أهل عالم الجن
من المسلمين أو الفاسقين من غير المردة والشیاطين .. فالله أعلم ..
إذ لا يعلم الإنسان .. ولن يعلم .. فإن القرآن الكريم وهو المصدر
الوحيد ، لذلك لم يفصح بما يجعل الإنسان يعلم ..

وهكذا فإن عالم الجن .. عالم حقيقى .. أثبتت الأبحاث العلمية وجوده بعد أن أوضحت آيات القرآن الكريم خصائصه وحددت معالمه وأوردت صفاته .. وكل زيادة فى بحثه يزيده غموضاً وكل تفكير من الإنسان فيه يثير عجباً .. وكل تأمل وتدبر فى هذا العالم المجهول يبعث فى النفس لله خشوعاً .. ويضيف إلى المؤمن على إيمانه دليلاً .. ويغرس فى قلب الباحث المتشكك بالله إيماناً .. وبقراءة الكريم تصديقاً .. ويقيناً ..

(ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)

* * *

عالم الملائكة

يطالبنا الإسلام بالإيمان بعالم الملائكة إيماناً تاماً وكاملاً، وذلك
بنص آيات القرآن الكريم والتي منها :

(آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ
كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ) .

ويتضح من النص علاوة على ما تقرره الآيات من وجوب الإيمان
بالملائكة أهمية عالم الملائكة إذ يجعل الله سبحانه وتعالى الإيمان بها بعد
إيمان الإنسان به عز شأنه وأن الكفر بها إنما هو من الضلال البعيد وذلك
بمثل النص الكريم :

(وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) .

وطبيعة تكوين الملائكة والمادة التي خلقت منها لا يعرف الإنسان
عنها شيئاً إذ لم يرد في القرآن الكريم عن طبيعة خلق الملائكة إلا أنها ضمن.

العوالم التي غابت عنا فلا تدركها أبصارنا فلا يمكن أن نرى الملائكة في الأرض وذلك بالنص الشريف :

(قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا) .
وإيماننا بها إنما هو تصديق لما أخبرنا الله به في كتبه التي أنزلها سبحانه وتعالى لبني البشر فهي من الغيب الذي يجب أن نؤمن به وذلك بالنص الشريف .

(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) .

وكل ما يعرفه الانسان عن مادة الملائكة أنها من نور وذلك بنص حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه مسلم في صحيحه (خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم) .

وطبيعة النور الذي تتكون منه أجسام الملائكة يجعلها خالية من ظلمة داخلية في نفسها أو ظاهرة على هيئتها .. نقية من كل شوائب أو أدران .. بعيدة عن الوسوسة النفسية والشهوات الحيوانية لا تقترف الذنب ولا ترتكب الإثم بل معصومة من الخطأ والخطيئة .. وبذلك فإنهم معصومون حيث لا يعصون الله إطلاقاً وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) .

ويعلمون حدودهم ويعترفون بأن لا علم لهم إلا ما علمهم الله به
وأنه سبحانه علام الغيوب وذلك بنص الآية الشريفة :

(قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ

الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) .

وأنهم يقدسون الله جل شأنه ويسبحون بحمده ولذلك فهم
يكرهون الفساد بكل أنواعه وألوانه وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ

خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ

الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي

أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) .

وهذا القول من الملائكة لله سبحانه وتعالى ليس من باب الاعتراض
على ما أراد ولكن من باب رغبتهم في التعليم والمعرفة .. والاطمئنان
إلى أن خلق الله سبحانه لآدم وجعله خليفة في الأرض ليس بسبب
عدم رضى الله جل شأنه على الملائكة ..

ولذلك فإن الملائكة تسبق كل الكائنات جميعاً في شهادة التوحيد
إذ أنهم أول من يشهدون بالوحدانية لله عز شأنه .. وذلك بالنص
الكريم :

(شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو
الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)

وأما جنس الملائكة فإن آيات القرآن الكريم قد أوضحت أن من
يظنون أن الملائكة من الإناث ليسوا على الحق إذ لا علم لهم بذلك بل إنهم
الذين لا يؤمنون بالآخرة وذلك بنص الآيات الشريفة :

(إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ
تَسْمِيَةَ الْإِنثَى . وَمَالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ
إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) .

وقرر القرآن الكريم أنهم عباد الله وليسوا إناثاً مما يوحى بأنهم من
جنس واحد وليس مما نعهد بل إن من قال بأنوثتهم سيسأله الله عن ذلك
ويحاسبه عليه وذلك بالنص الكريم :

(وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ
إِنثَاءً أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ)

وعدد الملائكة أدر فوق التصور وغير قابل للتخمين ولا يمكن
للإنسان أن يتكهن به .. ولقد أوردت آيات القرآن الكريم بالنسبة
لعدد الملائكة ما يجعل البحث فيه مثيراً ورائعاً ومتلاحقاً ومتشعباً ..
بحث يصعب الوصول فيه إلى نهاية بل إلى رأى .. ويدل ما جاءت
به آيات القرآن الكريم دلالة قوية وأكيدة على أن القرآن الكريم إنما
هو وحى الله سبحانه وتعالى على خاتم رسله وأنبيائه ويشير إلى الاتزان
والتناسق والدقة وهى الظاهرة الواضحة الصارخة التى تحكم هذا
الكون ويتصف بها والتى تُعتبر من آثار قدرة الله سبحانه وتعالى فى
الخلق وبعض حكمته وعظمته ودليل من عديده على وجوده ووحدانيته ..
فان لفظ الملائكة قد تكرر فى القرآن الكريم ٦٨ مرة وهو نفس العدد
تماماً الذى تكرر فيه لفظ الشيطان وأن عدد ماورد فى الآيات الشريفة
من مختلف صور لفظ الملائكة كملك وملكاً وملكين وملائكة هو
٨٨ مرة وهو نفس العدد تماماً أيضاً الذى تكرر فيه مختلف صور لفظ
الشيطان كالشياطين وشيطانا وشياطينهم فهل هى مصادفة أن يتفق
عدد المرات التى ورد فيها ذكر الملائكة فى القرآن الكريم وعدد المرات
التي ورد فيها ذكر الشياطين رغم أنهما لم يجتمعا فى آية واحدة ؟ . أم أنها
تشير إلى حقائق وأسرار يجب محاولة دراستها والبحث عنها والاجتهاد
فيها على قدر الاستطاعة .. وأى توفيق يصل إليه المجتهد إنما هو من
الله .. وأى خطأ يقع فيه إنما هو خطأ المجتهد .. والثواب على قدر
ما قصده المجتهد .. فهل يشير هذا التساوى فى العدد إلى أنه كما لكل
إنسان شيطانه الذى يحاول أن يضله ويدفعه إلى الشر فله ملك يحول

بينه وبين عمل الشيطان ويحاول أن يحفظه منه ويمنعه عنه إذ تقول آيات القرآن الكريم إن لكل إنسان حافظاً عليه وذلك بالنص الشريف :

(إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ)

ولقد وصل العلم في أبحاثه الأخيرة في ميدان الدراسات النفسية إلى وجرد قوتين متصارعتين داخل كل إنسان إحداهما تدفعه إلى هلاك نفسه والتخلص من حياته والأخرى تحاول إبطال فعلها وإفساد عملها وتلدع الإنسان إلى الحفاظ على حياته والحرص على سلامته بل إن التوجيهات التي تصدر من الملائكة للإنسان في داخله فيحس بها متبعثة من قلبه متجهة إلى خاطره كانت موضع البحث العلمي الواسع وقد كتب فيها وعملها علماء متخصصون فيقول ولیم مولتون مارستن تحت عنوان (أطع هذا الحافظ) مائتة سنة (لبثت سنوات أبحث عن التناهي الباطنة الخفية التي تكفل التوفيق في الحياة وأحق بالتقديم منها للعمل الذي يقرم به المرء بقة وفي حماسة مستجيبة لما يهتف به من خطرات القلب . وأكثرنا يخفق فعلا من الحوافز الطيبة في يوم واحد ما يكتفي لتغيير مجرى حياتنا .. وهذه الومضات الباطنة من الحوافز تضىء العتلة هنية ثم تخبو ونقنع منها بوميض ضوءها الغارب ونكر راجعين إلى ما ألفنا وفي نفوسنا إحساس غامض بأننا قد نصنع يوماً ما شيئاً في هذا الأمر أو أن نياتنا على الأقل كانت طيبة غير أننا بهذا نجنى على ذاتنا الباطنة . إن في كل منا دافعاً لا يفتقر إلى إبلاغ النفس غاية الميسور من كمالها وكلنا يعرف أى شخص ينبغي أن يكون لأن هذه

الدوافع تدلنا وتهلينا وإن كان عدم الصدور عنها يضعفها على أن العمل بوحى الداخل ليس معناه احلال ذلك محل العقل وإنما معناه أن نتخذ هذا الوحي وسيلة لمعرفة الطريق الذى ينبغى أن يسلكه العقل وبلهيه أن الطريق لا يخلو من حفر وقد يكون من الخطر أن نهض بغتة ونلقى بأنفسنا على ما يلدفعنا إليه أول الخطر ولكننا نستطيع على الأقل أن نبدأ بالإكثار من الاستجابة إلى الدوافع الباطنة التى نعرف أن فى وسعنا أن نطمئن إليها ونعتمد عليها . قلب صفحات حياتك وراجع تجاربك فيها ترى أن كثيراً من أسعد ما مر بك فيها وأعظم ما وفقت إليه كان فترة العمل بوحى داخلى وهذا يعاملك أنه لا أمل لك فى دافع غير منظور إلى النجاح إلا من أعماق نفسك الباطنة فلتطع إذن خير ما يهتف بك من الحوافز وانظر كيف تمضى) .. وهكذا يثبت العلم وجود قوة خفية فى داخل الإنسان تدفعه إلى النجاح والتقدم وترسم له الطريق الذى يجب أن يسلكه العقل فهى بذلك أقوى من النفس وأفضل من العقل .. والأمثلة العالمية أكثر من أن تحصى أو يشار إليها فهنا فردريك جرانت بانتننج أمضى ليلة من ليالى أكتوبر فى عام ١٩٢٠ بعد محاضرة عن مرض السكر وكان جراحاً كندياً لا يكاد يكسب من عمله شيئاً فهو يحاضر ليكسب عيشه فأصابه البحث فى إعداد المحاضرة بالإرهاق فقام إلى فراشه ونام وفى الساعة الثانية بعد انتصاف الليل كان يتقلب فى فراشه فاستمع من داخله إلى ثلاث عبارات نهض فوراً من فراشه وسجلها فى مذكراته وكانت العبارات (اربط قناة الغدة الحلوة من غدة الكلاب . انتظر من ستة أسابيع إلى ثمانية .

استأصل بقيتها واصنع منها خلاصة تعالج السكر) وكانت هذه العبارات التي أفضت إلى كشف الأنسولين . . وقال العالم الطبيعي الألماني المشهور فون هلمهولتز (إن الأفكار المباركة كانت تنهال على بغثة ولم أبذل لها جهداً كأنها إلهام وأنها لم تخطر لي قط وعقلي بجهد بها أو وأنا أعمل مكباً على مكتبي) ويقول الدكتور الكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل في الطب والجراحة (من المحقق أن المكتشفات العلمية الكبرى ليست من عمل الذكاء وحده فإن للعلماء الأفاضل إلى جانب قوة الملاحظة والفهم صفة أخرى هي الحدس . . إنهم بالحدس يدركون ما يخفى على الآخرين ويتبينون علاقات بين أحداث منعزلة في الظاهر ويخمنون وجود الكثر المجهول وعظماء الرجال جميعاً وهبوا الحدس . والرئيس الحق لا يحتاج لا إلى اختبارات سيكولوجية ولا إلى بطاقات الاستعلامات لكي يختار مرءوسيه والقاضي الصالح ليعرف دون استغراق في تفاصيل الحجج القانونية بل وأحياناً على ما يقول (كاردوز) مع الاستناد إلى حيثيات خاطئة كيف يصدر حكماً عادلاً . إن العالم الكبير يتوجه فوراً الوجهة التي تقوده إلى حيث يوجد اكتشاف يجب أن يتم . . هذه الظاهرة هي التي كانت تسمى فيما مضى بالوحي . والحدس في حياتنا اليومية وسيلة قوية من وسائل المعرفة ولكنها وسيلة خطيرة ومن الصعب أحياناً تمييزها عن الوهم . وعظماء الرجال والبسطاء وأنقياء القلوب هم وحدهم الذين يمكن أن يرتفع بهم الحدس إلى القمم العالية في الحياة العقلية والروحية . . إنها مملكة فريدة وإن إدراك الحقيقة دون عون من التفكير والتدليل يبدو لنا أمراً لا تفسير له . .

يبدو الخدس فى إحدى صوره كما لو كان استدلالا غاية فى السرعة يتم فى لحظة خاطفة ومن المحتمل أن تكون المعرفة التى يكونها الأطباء العظام عن حالة مرضاهم ومستقبلهم من هذا القبيل ويحدث ذلك عندما نحكم فى لحظة على قيمة رجل ونخمن مزاياه ونقائصه .. ولكن الخدس يحدث فى صورة أخرى دون ملاحظة أو استدلال فنحن نبلىغ أحيانا هدفا المنشود دون أن ندرى شيئا عن مكانه ودون أن نعرف وسيلة الوصول إليه) .

ولعل أغرب ما تقوم به الملائكة فى عونها للإنسان .. مساعدته فى حل مشاكله التى يعجز عنها . فكثيرا ما تدخل الملائكة بإهداء الإنسان الحل الأوفق لما يكون قد استعصى عليه من أمور دنياه .. ويعجب الإنسان وهو يرى الحل وقد ألقى إليه .. وأيا كان هذا الحل بسيطا وسهلا .. أو صعبا ومعقدا .. فإنه لم يكن يخطر على بال الإنسان من قبل حتى يكون ذلك من عمل العقل الباطن أو اللا شعور ولكن الملائكة قد عاونته وساعدته وتكفلت عنه بالحل .. وقد اعترف علم النفس بحل المشكلات التى يعجز عن حلها الإنسان عن غير طريق فكره .. إذ توصى الدراسات النفسية أن يطرح الإنسان التفكير فى المشكلة إذا لم تحل فى الوقت المناسب أو لم يستطع تفكيره حلها .. فإنه بطرح التفكير فيها يجد الحل ينبعث من داخله .. إن ذلك إنما هو بفعل الملائكة .. ومن عملها ..

وتشارك ملائكة أخرى غير التى تختص بكل إنسان فى معاونة الصالحين نفسيا وإسعادهم داخليا إذ تنزل على المؤمنين بالله الذين استقاموا على الطريق المستقيم تشجعهم وتعينهم على تقبل كل أحداث

الحياة وتبعد عنهم الخوف من كل ما يخيف الإنسان في الدنيا والخوف من الأخرى بكل ما فيها .. وتحول بينهم وبين الحزن على أى ما يصاب به الإنسان وتثير فيهم البشرى .. وما أجملها وأعظمها من بشرى .. البشرى بالجنة .. وذلك بنص الآية الشريفة :

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) .

وما أبعد الفارق بين إنسان يعيش حياته خائفاً وجلالاً يخاف من كل شيء وأى شيء .. يحزن لكل أمر .. ومن كل أمر .. . يعد الساعات واللحظات مشفقاً على نفسه من الآخرة .. آسفاً للموت وهو يترقبه .. ويتبعه . فزعماً من القبر ووحده فيه .. مضطرباً من الحساب والساعة .. وبين إنسان آخر . اطمأن كل الطمأنينة .. يسعد من كل شأن .. وبأى شأن .. يرى في كل ما يقع إرادة الله .. . إذا أصابه المكروه رضى وصبر واحتسب أجره عند الله .. وإذا أصابه الخير اطمأن به على رضاء ربه عليه .. يقضى حياته مترقباً لقاء الله .. كلما تقدمت به السن تعجل الساعة .. فما أسعد الإنسان الذى يطمئن إلى آخرته ويسعد كلما أحس بقرب نهايته ..

ولا يقتصر عمل الملائكة على متابعتها في داخل الإنسان من الأحاسيس الصادقة والشعور الطيب أو تحاول به إفساد وسوسة الشيطان للإنسان بل إن لها من الأعمال الإيجابية المادية في الحفاظ على الإنسان ما جعل

العلم يحنى هامته إجلالا لها بعد أن اعترف بخطورتها وعجزه عن كشف أسرارها . . إذ ما أكثر ما تقوم به الملائكة وما أعظم شأنه وأعجب حاله . . فإذا ما تركنا الخلية الذكرية المحددة التي تتجه دون الملايين غيرها من التي معها إلى البويضة الواحدة رغم ما بينهما من مسافات شاسعة ومجاهل ومتاهات بالغة وصعوبات وعوائق متعددة وتركنا الخلية الحية وأسرار انقسامها والإشراف الدقيق على هذا الانقسام وعجائب تجمعها وغرائب تصرفاتها والذي يجهل الإنسان سببها ودوافعها والسر وراء تصرفاتها إذ يقول الدكتور الكسيس كاريل (الواقع أن جهلنا مطبق فأكثر الأسئلة التي يطرحها من يدرس أفراد الإنسان بقيت دون جواب . . كيف تنتظم الخلايا من تلقاء نفسها في جماعات هي الأنسجة والأعضاء ؟ . وكأنها أشبه شيء بالنمل والنمل تعرف مقدما ما هو الدور الذي ينبغي لها أن تلعبه في حياة الجماعة . إن العلاقات التي تربط بين الشعور والخلايا الحية مازالت سرا غامضا بل إننا نجهل فسيولوجية هذه الخلايا) . . إذا تركنا ذلك واتجهنا إلى النطفة وقد تم إخصابها لندرس كيف أن بيضة ضئيلة تتخلق طفلا لوجدنا أن ما يقوله الدكتور الكسيس كاريل في مقدمة كتاب (قصة جنين) من أن هذا التخلق إنما يتم بأفعال كأنها من عمل السحر إنما يشير إشارة أكيدة وواضحة إلى بعض ما تقوم به الملائكة من عديد من الأعمال الإيجابية للإنسان والتي تستهدف الحفاظ على الكائن الحي الذي بدأ بخلية لا ترى ومتابعة نموه والإشراف على تكوينه دون تدخل إطلاقا من الأم أو الأب أو الجنين نفسه . . فكلنا كنا أجنة وكلنا آباء . . ومعنا

الأمهات .. ولم يحدث أى تدخل من أحد منهم فى خلق نفسه وهو
فى رحم أمه .. ولم يشرف على خلق ابنه وهو جنين كذلك فى رحم
أمه .. فى لحظة الإخصاب نفسها لا يتقرر وجود الكائن البشرى
فقط ولكن يتقرر كذلك نوعه ذكر أو أنثى بل وشخصيته كاملة
طوله وعرضه وملامح وجهه ولون عينيه وأوصاف شعره وصفاته
المميزة .. إن التغير الحارق الذى يحدث خلال الشهر الأول من الحياة
الجنينية من ثنایا المجهول وطوايا العدم إلى صورة الإنسان لشيء
رائع وعجيب وغريب بل فى الحق إنها لأشياء لا يكاد يصدقها عقل
ولا يتخيلها فكر تفوق كل خيال وإنها لسلسلة من الألغاز والأحاجى
ملاحق وتتابع منذ اللحظة الأولى وإن الشيء المحير جداً والعجيب جداً
الاستطاعة هذه الهبأة التى لا تكاد ترى أن تحافظ على حياتها وتستمر
فى انقسامها رغم قسوة الظروف التى تحيط بها والشدة التى تصاحبها
وأسياب التدمير والقناء التى تلاحقها .. حقاً وصدقاً ما أعظم ما يقوم
به الحافظ على كل نفس .. فالتغيير الذى يطرأ على هذه النطفة البالغة
الصغر يستمر كل يوم بل كل لحظة ولا يمكن للإنسان أن يتابع هذا
التغيير لأنه أسرع من المتابعة ويصل الجنين فى أسبوعه الثالث إلى طول
مليمتر ونصف فقط ، ورغم هذه الضآلة فى الحجم والدقة فى الطول
والعرض فإنه يكون 'حياة طويلة وعريضة وعميقة ومعقدة' ففيه أجهزة
بدأت وأغشية متعددة وضحت ورقائق وصفائح كانت قد خلقت
ولكنها عكست موضعها .. فى اليوم السابع عشر من تكوين النطفة
تتمزج خلايا دم كانت مبعثرة تسمى بالجذر الدموية لينشأ منها أنبوب

واحد هو أنبوب القلب وتحدث فيه أروع وأخطر وأدق عملية حيوية تحدث داخل الإنسان وتشير إلى قوة خفية هائلة رحيمة قررت وقدرت وأمرت فأطاع لها الوجود وتمتد إلى هذا الأنبوب ما تهزه هزة طفيفة تعقبها أخرى .. وسرعان ما يتداوله الانقباض والانبساط .. هذه الهزة ليست عملية إرادية وليست ناتجة عن أى اهتزاز داخلي أو خارجي أو نتيجة لانقسام أو تطور أو تحور ولكنها تحدث قسراً وعمداً فأى يد امتدت إلى هذا الأنبوب الذى لا يمكن الحكم على طوله إذ أن طول الجنين نفسه ببقى أجهزته هو ما يقرب من المليمتر الواحد ونصف ويظل القلب يدق طالما للإنسان عمر فى حياته .. فإذا انتهى أجله فلاشئ يحدث لينهى حياته إلا وقوف هذا القلب عن النبض .. ودورة الدم فى الجنين تخالف دورته بعد مولده وما يحدث يعتبر من أعاجيب وغرائب الحياة ويشير إلى القدرة الخالقة وطاعة الملائكة التى تفعل ما تؤمر به ولا تعصى الله إطلاقاً فالجنين ليس فى حاجة إلى مرور الدم إلى رئتيه لأنه لا يستطيع التنفس لذلك يمر الدم من الجهة اليمنى للقلب إلى الجهة اليسرى مباشرة من خلال فتحة فى الجدار الفاصل بينهما وقبل الميلاد بلحظات تقفل تلك الفتحة وتحدث بدلا منها اتصالات تستهدف عمل فتحات بها يتم مرور الدم فى الرئة وما ذلك إلا لأن وصول الدم إلى الرئتين أصبح أمراً ضرورياً لحياة الطفل بعد مولده ووضعاً حتمياً يناسب حياة الإنسان على الأرض بما عليها من هواء ينقى الدم داخل الجسم فى دورته المحددة وكيف أقفلت هذه الفتحة .. وكيف تتحول عملية مرور الدم إلى طريق آخر .. ما أروع العمل .. وما أعظم الطاعة .. سبحانه يا رب ..

ودورة القلب أمر يثير في الإنسان التعجب ويؤيد عظمة الخلق ويشير إلى بعض قدرة الله .. فالقلب يدق حوالى سبعين مرة فى الدقيقة أى أن المدة التى تمضى بين بدء كل دقة وبدء الدقة التى تليها حوالى ثمانية أعشار الثانية وهذه تسمى دورة القلب أى تتم فى أقل من ثانية وتفصيلها عجيب وغريب فكل دورة تبدأ بانقباض الأذين الذى يستغرق حوالى واحد من عشرة من الثانية ويلى ذلك انقباض البطين ويستغرق ثلاثة من عشرة من الثانية ويلى ذلك ارتخاء القلب وراحته لمدة تبلغ أربعة من عشرة من الثانية ومجموعها كلها ثمانية من عشرة من الثانية ولا يخل ذلك أبداً ولا يتغير إلا إذا استلزمت حالة الإنسان تغيير ذلك فقد تزيد ضربات القلب لمواجهة حالة طارئة لاتعالج إلا بمزيد من مرور الدم وقد تقل ضرباته إذا كانت حالة الإنسان تستوجب بطلاً فى مرور الدم وقد أثبت العلم وجرد موجة كهربائية فى القلب لا يعرف سببها حتى الآن وتكون هذه الموجة كبيرة فى صغار السن وتضؤل مع تقدم العمر وهبوطها يعتبر الدليل على إصابة القلب وانعدام هذه الموجة يؤدى إلى الوفاة قطعاً. إنها رعاية وأى رعاية .

ويقف الإنسان مشدوهاً قد غمر الإيمان بالله وملائكته قلبه واستولى اليقين على عقله ووجدانه عندما يدرس حركة الطفل فى الرحم وقد قارب الاكتمال وحانت لحظة الميلاد إذ يتحرك الطفل حركات هادفة بحيث يصبح فى الوضع الملائم للولادة فتكون رأسه إلى أسفل وذراعااه مضمومتان إلى بدنه وركبته مرفوعتان إلى أعلى ورجلاه متقاطعتان وينزل إلى الحياة برأسه منكفئاً على وجهه وتكون أول لحظاته فى

الحياة نزوله ساجداً لله سبحانه وتعالى .. فمن حرك الجنين هذه الحركة المقصودة المتعمدة حتى تعينه على الولادة ؟ .

وما أكثر ما يحيط بالجنين وولادته من أسرار فإن عملية الولادة نفسها لا يعرف حتى الآن السبب الحقيقي لإنهاء فترة الحمل وولادة الجنين التي تتم على مرحلتين الأولى حيث تحدث تقلصات رحمية تعمل على اتساع فتحة عنق الرحم وانفجار كيس مياه يبدأ بالنزول خارج الرحم لإعداد الجنين للمرحلة الثانية وهي مرحلة نبذ الجنين خارج الرحم وكلها عمليات لا تدخل للإنسان أى إنسان فيها ولكنها تشير إلى عظمة الخالق وطاعة الوجود له .. وعلى قمة الطاعة الملائكة الذين يحافظون على الحياة كما أرادها الله .. وتقول مارجریت شياجلبرت فى كتابها قصة جنين الذى فاز بجائزة أفضل كتاب علمى عن الولادة مانصبه (إن الدافع الأساسى الحقيقى لعملية الوضع لا يزال مجهولاً وإنه لتحداث فى الرحم لعدة أسابيع وربما عدة أشهر قبل الوضع انقباضات عضلية بطيئة ومتوالية .. فلماذا يندفع الرحم فجأة بعد هذا الصبر الطويل على تلك الانقباضات غير المثمرة إلى تلك الحركات العضلية العنيفة الفعالة التى تطرد الجنين الذى طال الصبر عليه فى بضع ساعات ؟ . ذلك ما سيظل خاتمة الأحاجى لحياتنا قبل الولادة) .

ومن البديهيات العلمية والعقلية التى لا تقبل الشك أو الجدل ولا تحتاج إلى دليل لإثباتها أن كل حركة لا بد لها من محرك وأن الحركة الذاتية قد اكتسبتها من حركة أولى أصابتها من خارجها بمحرك وما أكثر

الحركات التى تشاهد داخل الإنسان ولا يعرف لها أى سبب ويقف حائراً أمامها عاجزاً عن إدراك سرها ولكنه قد خلق يؤمن بالأكبر الذى أراد والأعظم الذى شاء فكان ما أراد وتمت مشيئته فأطاعته الملائكة . وأعجب من حركة الجنين داخل الرحم ودقات القلب قبل وبعد الولادة حركة الأمعاء فللأمعاء الدقيقة حركة دورية وهى موجات انقباضية مسبقة بموجات ارتخائية بسرعة تبلغ سنتيمترين فى الدقيقة وتهدف إلى تقديم الطعام إلى الأمعاء الغليظة ولها أيضاً حركة مجزأة وهى حركة دائمة ومنظمة وتحدث مرة كل دقيقة وهى انقباضات تحدث فى وقت واحد فى جدران الأمعاء فتجزئ محتوياتها إلى أقسام متساوية صغيرة ثم تمزج محتويات كل نصفين متجاورين وهدفها مزج الطعام بالحمائر مزجاً تاماً يساعد على هضم الطعام وأما الحركة الثالثة للأمعاء الدقيقة فهى الحركة البندولية وهى حركة أجزاء طويلة للأمعاء تتحرك ذات اليمين وذات اليسار ولا يعرف العلم بعد هدف هذه الحركة .. وللأمعاء الغليظة حركة دورية بطول الأمعاء وتحدث ثلاث مرات أو أربعاً فى اليوم لتدفع ما بها خارجها .. وتوجد علاوة على ذلك حركات أخرى لا ترى وإنما تشاهد بنتائجها ..

وحركة المخ حيث يقوم بعدل الصورة التى تدخل إليه من العين مقلوبة .. فكل صورة تقع عليها العين إنما تدخل مقلوبة ويقوم المخ بعللها .. إنها حركات دائمة طوال اليوم فإن العين لا تكل عن الرؤية إلا إذا نامت وهكذا لا يهدأ المخ عن حركة عدل الصور إلا إذا نام الإنسان .. ولعل المخ يبدأ عمليات أخرى من الحركة .. إن الحركة

هى الصفة التى تحكم كل أجهزة الإنسان من خلية الحياة وهى أصغر وحدة يتكون منها إلى حركته هو نفسه .. فالخلية تتحرك فى انقسام وتحرور ومجموع الخلايا التى تكون الجهاز الدموى أو الهضمى أو البولى أو التناسلى أو العضلى أو العظمى كله يتحرك حركات لادخل للإنسان فيها .. بل إن الإنسان نفسه كثيراً ما يتحرك فى اتجاه على غير إرادته ولا يعرف ماذا دفعه إليه ولكن بعد أن يعرف النتيجة .. يتأكد أن هناك قوة ما .. تحافظ عليه .. قد غيرت اتجاهه من شر مؤكد كان سيقع عليه .. إلى سلامة وأمن .. استهدفتها هذه القوة التى غيرت من حركته . وعدلت من اتجاهه ..

إن الأسرار الرهيبة والمتعددة والتى لا يمكن أن توضع تحت حصر والتى تشاهد فى جسم الإنسان لتشير بوضوح إلى تدخل مقصود وإلى قوى تعمل داخل هذه الأجهزة بعقل وفكر وإتقان يعجز عن إدراك مداه العقل البشرى وبالتالي لا يمكن لغير هذه القوى أن تقوم به . يقول العلم بعد دراسة عملية ناجحة وصل فيها إلى الحقائق القاطعة : إن أصغر وحدة حية فى الجسم هى الخلية وهى وحدة محاطة إحاطة تامة بغشاء رقيق يسمح بقدر محدود من مرور السوائل والمحاليل وغيرهما من المواد منها وإليها بطاقة ودرجة دقيقة دقة بالغة لتحافظ على حياتها .. ولا يقتصر الانقسام الجوى على مجرد إنتاج خليتين تماثلان تماماً الخلية الأصلية وإلا ما تكونت الأجهزة المختلفة ولا الأعضاء المتعددة إذ أن ما يتم بالانقسام أمر بالغ الغرابة شديد العجب .. يحمل معه أدق الأسرار .. وأغربها .. إذ أن تكاثر الخلايا إنما هو انقسام غير متكافئ

فى حقيقةه ولوائه متشابه فى ظاهره.. إذ يحدث به ولادة خلايا تختلف
عن الخلية الأصلية التى أنجبته فى مستقبل عملها وما ذلك إلا لتتخذ مميزات
خاصة بها من حيث شكلها الحالى ووظيفتها فى المستقبل. وبعد الانقسامات
العديدة حيث تتكون الأعداد الهائلة التى لا يمكن كتابتها رقمياً يمكن
التعرف على أنواع الخلايا التى تتكون منها الأنسجة والأعضاء. وينتج
عن تجمع هذه الخلايا المظهر المميز للنسيج بل والألياف والحبان
التي تربط الخلايا فى نسيجها وتصل الأنسجة ببعضها وتسيطر على
تجميع مذهب لكل الأجهزة. . فقد سبق أن شبه بعض العلماء جسم
الإنسان من بعض الوجوه بدولة متحدة تتألف من ولايات كثيرة هى
الأعضاء وتمثل الوحدة النهائية فى هذه الدولة أى الفرد بالخلية، ولكن
هذا التشبيه ينهار فوراً ومن أساسه عندما ننظر إلى أعضاء الجسم وأجهزته
الوظيفية، فلا يمكن لجهاز واحد من أجهزة الجسم أن يعمل مستقلاً
عن الآخر.. بل إن كل جهاز يرتبط بغيره ارتباطاً كاملاً وشاملاً
وأساسياً وهاماً وواضحاً.. كيف لا وهو ارتباط الحياة.. فلا يقوم
جهاز دون مساعدة الجهاز الآخر وتدخله.. بل إن عمل أى جهاز إنما هو
صورة واضحة وناتج عمل جهاز آخر.. ويوجد فى كل عضو من أعضاء
الجسم خلايا شابة دائماً على استعداد للانقسام والتكاثر.. فعند موت بعض
خلايا جسم الإنسان.. وكثيراً ما يحدث.. بل لابد أن يحدث ذلك
وفى كل وقت.. تسارع هذه الخلايا الشابة فى الانقسام ليعوض الجسم
عما مات منه من خلايا.. وفى الأنسجة والأعضاء غير هذه الخلايا
الشابة.. خلايا أخرى.. عاملة تفوق كثيراً ما يلزم هذه الأعضاء

للقيام بوظائفها خير قيام .. ويحرص الجسم على ادخار عدد كبير من هذه الخلايا .. في حالة ترقب وسكون .. فإذا ما أصيب العضو بما يعطل بعض خلاياه عن العمل . . بادرت هذه الخلايا إلى معونة العضو بأن تعد بعضها للعمل فوراً لتساعد الجسم على الاحتفاظ بحالته الطبيعية في العمل .

وهذه الخلايا لا عقل لها لاشك ولكن تصرفها إنما يشير إلى ماهو أعمق من العقل وأفضل من الذكاء .. إنه الإدراك والسيطرة النامة عليها .. ولعل ما يحدث في خلايا الدم إنما يوضح بعض مظاهر القدرة التي تتصرف الخلايا طاعة لها.. فالدم يتكون من خلايا حمراء عبارة عن أقراص مقعرة من الناحيتين ويبلغ قطرها سبعة من ألف جزء من المليمتر وسمكها حوالى جزأين من ألف جزء من المليمتر ويوجد منها بدم الرجل حوالى ستة ملايين خلية في كل ملايمتر مكعب وحوالى خمسة ملايين خلية في كل مليمتر مكعب بدم المرأة أى ما يقرب من خمسة وثلاثين ترليوناً من الخلايا في دم الإنسان والترليون هو مليون المليون وغشاء هذه الخلية أمره عجيب فإنه مرن وشكله قابل للتغيير ويستطيع دون أى غشاء آخر أن يجعل الخلية تضمر وتصغر في الحجم لتدخل وتمر في شعيرات أضيق منها قطراً ويحدث ذلك دون أن يصيب الخلية أى تغيير على مكوناتها أو وظائفها .. ولهذا الغشاء خاصية أخرى عجيبة هي تحكمه فيما يسمح به من المرور إلى داخل الخلية الحمراء ، وما يخرج منها . . طبقاً لاحتياجات الجسم الفعلية ولكثرة أعمالها وسرعة حركتها ومرورها في أوعية أضيق منها فإنها تنكسر وتهشم بسبب ذلك وغالباً

ما يكون ذلك بعد مدة لا تقل عن عشرين يوماً ولا تزيد عن ستين يوماً ومن ثم فإن الأمر يقتضى بصفة مستمرة إنتاج عدد من هذه الخلايا ليظل الجسم دائماً بهذه الكمية من الخلايا الحمراء .. أما الخلايا الأخرى فى الدم وهى الخلايا البيضاء فإن أمرها أكثر عجباً من أختها الخلايا الحمراء .. فالطفل يولد وفى دمه عشرون ألف خلية بيضاء فى كل ملليمتر مكعب ثم يبدأ هذا العدد فى الهبوط بعد أسبوعين ويستمر الهبوط حتى يصل إلى سن العاشرة فيصل العدد إلى ثمانية آلاف خلية فى الملليمتر المكعب ويتغير هذا العدد إذ يتراوح بين ستة آلاف وعشرة آلاف من يوم إلى آخر بل ومن ساعة إلى أخرى ويبلغ أعلى مستوى عند السيدات فى أشهر الحمل الأخيرة إذ يصل العدد إلى سبعة عشر ألفاً من الخلايا البيضاء فى كل ملليمتر مكعب من الدم .. وهذه الخلايا ذات نواة وتقوم بأعمال بالغة الخطورة .. واضحة الهدف .. حكيمة التصرف .. فإنها تسير هنا وهناك فى كافة أنحاء الجسم تبحث بكل دقة وإتقان عن الأجسام الغريبة فى الدم كالجراثيم وغيرها فتبتلعها فوراً .. كيف ؟ لا يعلم أحد من البشر .. ثم تفرز عليها مواد هاضمة من خميرة داخل الخلية .. ومن العجيب أن هذه الخميرة لو خرجت من داخل الخلية البيضاء لفسد مفعولها وتلف عملها .. وأما إذا كانت الجراثيم أو المواد الضارة فى نسيج بالجسم فإن هذه الخلايا تمر بسرعة من جدران الشعيرات الدموية إلى النسيج المصاب وتشرع فوراً فى مكافحة هذه الجراثيم بابتلاعها .. وإذا كانت المعركة غير متكافئة .. أفرزت الخلية البيضاء كمية من خميرتها وبدلاً من أن يفسد عملها

وتتلف .. نجدها صالحة للعمل .. أى أن فى لحظة واحدة .. ومن مصدر واحد .. يتغير القانون .. وتختلف القاعدة .. فتذيب الحميرة أجزاء النسيج التى ماتت من تأثير الجراثيم .. وبذلك يتكون الحراج والذى تحرص الخلايا البيضاء بشدة وتمسك على أن يفتح إلى الخارج .. وما الصليد الذى يخرج إلا العديد من الخلايا البيضاء ماتت أثناء هذه العملية الرائعة التى تتم بإتقان وفن غريب .. ويصور العلماء المعركة بين الخلايا البيضاء والجراثيم فى صورة أروع وأعظم من أى معركة حربية تتم بين الدول ويديرها خبراء متخصصون .. إذ تقوم الخلايا البيضاء بإرسال دوريات استكشاف .. ثم تتبعها بقوات ضاربة .. تحميها من على بعد خطوط دفاع تتمركز فى مواقع استراتيجية .. وتتقدم قوات كل خط حيث تقاتل بعيداً عن مكانها .. حماية للخط من أن ينهار . وكلما وقع خط .. تقدم الثانى .. والتضحية التى تقوم بها الخلايا أكبر من أن توصف والضحايا منها تبلغ دائماً عدة آلاف .

والعلماء لا يجدون فى كل ذلك غرابة أو عجباً إذا ما قارنوا ذلك بالجهاز العصبى والخلية العصبية فإنها أكثر غرابة وأروع مثلاً .. فمن العسير أن يتفهم الإنسان الجهاز العصبى على حقيقته فهو أهم وسائل تكامل الإنسان وقيامه بوظائفه وهو الذى يجمع بين كل الأجهزة ويربطها جميعاً بلوحة القيادة المركزية وهى المخ .. والخلية العصبية تختلف عن كافة خلايا الجسم فى أنها لا تعوض وكل خلية تتلف لن تنشأ بدلا منها خلية أخرى .. فالطفل يولد مزوداً بكافة خلاياه العصبية التى ستظل دون زيادة إلى نهاية حياته .

وخلايا الرئة .. وحوصلات الهواء .. بل وخلايا الأهداب والشعر .. وخلايا الجلد .. إنها سلسلة متلاحقة .. متتابعة من روائع العمل الجاد الهادف المحكم .. الذى يختلف فى شكله وفى طريقة الأداء إلا أنه يتفق فى شىء واحد .. هو الحكمة والقدرة التى تشير إلى وجود من يحكمها ..

ويضع العلماء قائمة طويلة تكاد لا تنتهى بالعجائب التى تتم داخل جسم الإنسان والتى تشير إلى قوى خفية تقوم بالحفاظ عليه وتدير أموره ورعاية شئونه وتنصرف بحكمة وتقدير وبهدف واضح وأكيد هو حماية الإنسان ومساعدته فى كل ما يجعل حياته مستطاعة ومستمرة إلى أجل قد تحدد وموعد قد تقرر لافى لحظة مولده ولكن قبل مولده .. فى لحظة الله أعلم بها متى كانت .. ولا كيف كانت .. أراد الله سبحانه فصور الأحياء .. وخلق الأرواح .. وقسم الأرزاق .. وحدد الآجال .. وطالما الكائن فى حياة فإن الملائكة التى خصصت لحياته فى عمل للحفاظ على هذه الحياة إلى الأجل المحدد ..

ولعل أغرب ما فى قائمة العلماء ولو أنها كلها تتنافس فى الغرابة .. عجيبة النوم .. ودور الملائكة فى ميدانها لاشك فيه .. إذ يقرر العلماء أنه لا إمكانية لتفسير النوم علمياً .. حيث يتم النوم دون تدخل من الإنسان .. فكما ينام على فراش وثير فإنه ينام على خشب أو حصير .. وكما يدب إليه النوم وهو مستلق على ظهره يستعد لاستقباله .. يباغته فجأة وهو على مقعد يعمل .. أو فى مكان لا يتوقع فيه أى إنسان له النوم .. إن الإنسان ينام لأنه لا بد له من ذلك .. فى لحظة خاطفة

تمسه الملائكة بالعصا السحرية .. فإذا به فجأة يفقد التحكم في نفسه فلا يستطيع أن يحمل رأسه أو يسيطر على جسمه .. وتغمض عيناه ويتنظم تنفسه ويهبط ضغط دمه ويبطئ ضرب قلبه .. ومن العجيب أن الإنسان لو أصابه النوم ولو للحظات قصار ينهض أوفر نشاطاً وأكمل صحة وأهدأ بالاً .. قد تضاعفت قدرته على العمل وزادت طاقته على السعى .. وإذا لم يصبه النوم لسبب أو آخر فقد القدرة على التركيز .. وقل نشاطه .. وتغير إدراكه .. وانحرف مزاجه .. ويقرر العلم أنه لا تغير عضوياً يتم بالنوم إطلاقاً ولم يشاهد أى اختلاف في نسبة من نسب المواد الموجودة في الجسم بالنوم ولا يعرف حتى الآن السر فيما يسببه النوم من راحة للجسم وتنشيط لوظائفه يحس بها الإنسان بعد اليقظة .

وكما أن الشياطين هم نسبة معينة من عالم الجن الذى يبلغ عدد أفراده أضعاف عدد الشياطين إذ أن من الجن كثرة بالغة مؤمنة وأخرى فاسقة وغيرهم .. وكذلك فإن الملائكة الذين يكلفون بالحفاظ على الإنسان حيث لكل ملاكه أيضاً الواحد على الأقل ليتناسب مع الشيطان فهذه الملائكة هم نسبة من أهل عالم الملائكة .. إذ أن عدد الملائكة لا بد أنه رهيب وكثير بل وبكثرة بالغة إذ ما أكثر ما تختص به الملائكة وما أخطره وأوسع مداه وأبعد شأنه في عالم الأرض والسماء .. فن الملائكة من يعاون أفرادها الإنسان في الأرض على عمله طالما أنه في عبادة الله وعلى تقواه ومن الصالحين وطالما أن هذا العمل من الطيب الذى يأمر به الله سبحانه وتعالى ويخدم الإنسانية

ويحقق خلافة الإنسان لله في الأرض فيهدف إلى صلاحها ويحول دون فسادها .. وكثيراً ما يحبس الإنسان إذا هم بعمل حسن يبتغى به ثواب الله بالعون الخارجى يتدفق عليه فيشعر بخفة في أداء عمله ولعل ذلك يشاهد بوضوح لدى الأطباء لاسيما في الجراحات الدقيقة ، إذ كثيراً ما يقول الأطباء إنهم وجدوا نهاية العصب تتداعى لهم وكأن يداً خفية تدفعها إلى حيث الموضع أو أن الشعيرة الدموية تبعدها عن مكان السلاح قوة غير منظورة . والجراحات الدقيقة كلها تقريباً تحدث فيها معجزات خارقة .. وإذا كان هذا هو الشأن في الإنسان العادى فكيف بمن يتجه طوال وقته إلى الله بل وكيف بالصالحين من الناس وكيف بالأنبياء والرسل .. إن النسخ المتداولة من الأناجيل تذكر أن سيدنا عيسى عليه السلام عندما عصى الشيطان ونهره وتركه^{٢٢} جاءت الملائكة تخدمه وذلك بالنص الوارد في الإصحاح الرابع (حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان . لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد . ثم تركه إبليس وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه) وقصص معاونة الملائكة للمؤمنين كثيرة وعديدة فقد نزلت الملائكة بأعداد ضخمة متتابعة تعاون سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحارب مع أتباعه من المسلمين عندما كانوا قلة صغيرة العدد ضئيلة العتاد وواجهوا عدوهم وعدو الله وكانوا في أعداد كبيرة وعتاد عظيم وغلبت الفئة القليلة المؤمنة الكثرة الكبيرة الكافرة بمساعدة الملائكة .. وقد أحس المسلمون بالملائكة وهم يحاربون معهم ويقاتلون عدو الله ويقرر القرآن الكريم أن الملائكة كانت تحارب مع المسلمين بالآلاف عدداً وذلك بالنص الشريف :

(وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا
اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ
أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ . بَلَى
إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمَدِّدُكُمْ
رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ) .

وهكذا كما تعمل الملائكة داخلياً في الإنسان عن طريق ما تثيره فيه
من أحاسيس طيبة وعمل صالح وعون للتغلب على وسوسة الشيطان
فلنبا تعمل إيجابياً لمعاونته ومساعدته عن طريق العمل المادي أيضاً
وقد جمعت الآية الشريفة من القرآن الكريم والتي نصها :

(إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْنِي مَعَكُمْ
فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا
الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ
بَنَانٍ) .

العملين من أعمال الملائكة في مساعدة الإنسان : الإيحاء الطيب
الداخلي والاشتراك الفعلي الإيجابي . ولا يمكن للإنسان أن يقرر عدد
الملائكة الذين يוכלون لكل فرد فلا بد أنهم كثرة بالغة فإذا
كان للإنسان ملك يلزمه ويظل معه فهناك كثرة تعاونه وتساعدته

لا يعرف عددها يقيناً إلا الله ، وقد روى أبو إمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (وكل بالمؤمن مائة وستون ملكاً يذبون عنه مالا يقدر عليه) فإذا كان هذا العدد هو ما يدفع عن الإنسان مالا يستطيعه من الشر والضرر فكم يساعدونه في الخير .. ويحبون له السعادة . ؟ .
ويقول القرآن الكريم عن الملائكة التي تحفظ الإنسان بأمر الله سبحانه ما نصه :

(وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً
حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ
لَا يُفَرِّطُونَ)

وتشير الآيات إلى كثرة هذه الملائكة بمثل القول الشريف :
(لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ
مِنْ أَمْرِ اللَّهِ)

والمتدبر لما حوله ليجد ميدان عمل الملائكة بحيث يشمل كل ما يقع عليه بصره أو يعمل فيه فكره .. فكما يجهل الإنسان كيف بدأت ضربة قلبه الأولى .. إلا أنها تستمر .. كذلك يجهل الإنسان كيف بدأت الموجة الأولى في البحار والمحيطات إلا أنها تستمر .. وتظل تتلاطم وتتصارع وتتكرر على الشواطئ .. إلا أنها لا تهدأ إطلاقاً ليلاً أو نهاراً مهما خفتت ودقت عن الرؤية .. ومن عجب أننا نرى

الموج يتلاطم ويتكسر ويتعاقب مع هذا الشاطئ وكأنه قادم من الشاطئ الآخر .. والحقيقة أنه كذلك يتلاطم ويتكسر ويتعاقب مع الشاطئ المقابل .. فكيف ؟ ومن يفرق البحر فرسل الأمواج هكذا لتستمر في عملية من أخطر وأروع وأهم العمليات الحيوية في الوجود . فمياه البحار والمحيطات مياه واقفة وبها نسبة من الأملاح حتى لا تتعفن هذه المياه وتصبح مصدراً خطراً ودائماً للإنسان .. فالأملاح إذن مادة حافظة للمياه حتى تظل على سلامتها وإذا وقفت الأمواج وهذأت . ترسبت ذرات الملح إلى الأعماق .. وتكون النتيجة زيادة تركيز الملح في القاع فتموت فيه الكائنات الحية بهذا الارتفاع في نسبة الملح .. وتقل نسبة الملح عند السطح حتى تنعدم وبذلك تتعفن المياه على السطح .. ولا تصلح للاستعمال وتنتشر الأمراض وتجعل الحياة غير مناسبة للإنسان .. وهكذا يعمل الموج .. ولهذا يستمر الموج .. وتلتقى الأنهار مع البحار .. والأنهار مياهها جارية وهي تسقي الحرث والنسل ولذلك فيها حلوة لتحقق أغراض الإنسان .. ووجود الملح فيها لا يفيد .. بل يضر الإنسان يقيناً إذ لو كانت مياه الأنهار كمياه البحار والمحيطات مازرعت أرض وما نتج ثمر .. وما ارتوى إنسان .. والأعجب أن مكان الالتقاء بين النهر والبحر .. يلتقى الماء العذب والماء المالح .. وعلمياً وعلى حسب القوانين الطبيعية لا بد أن ينتشر كل في الآخر فينتشر الماء العذب مع الماء المالح .. وينتشر الماء المالح بما فيه من ملح في النهر العذب .. ولكن نجد بينهما حاجزاً وسداً منيعاً .. فإذا وقف الإنسان عند نقطة الالتقاء وأخذ يمينه ماء .. ويساره ماء .. لوجد الاختلاف الشديد بينهما .. هذا عذب فرات .. وهذا ملح أجاج ..

وتهب الرياح .. وتتجه بقدرة الله وحكمته حيث شاء .. وتتخلق السحب .. وتتناثر أو تتجمع وتندم .. أو تهطل أمطاراً .. وتتساقط على قوم ترتبط وسيلتهم في الحياة بها .. أو تباعد لحكمة عنهم ولتنهمر على قوم تصيبهم بإصابات بالغة .. إنما هي أرزاق تمنح .. وقضاء يقع ..

وينمو الزرع في مساحات متجاورة وبأصناف واحدة .. ومعاملات متشابهة .. فيصاب بعضها .. وينجو غيرها .. ليس ذلك صدفة .. أو خبط عشواء .. إنها الحكمة .. وإنها لإرادة .. ذات هدف وقصد .. إن كل ذلك ومثله الكثير يشير إلى طائفة معينة من الملائكة يدبرون الأمر من السماء إلى الأرض لتحقيق ما سبق في علم الله ونفاذ ما جرى به القلم ..

فالملائكة تقوم بعملها من الله عز شأنه ولا تتصرف إلا رهن مشيئته ووفق إرادته .. فهم رسل الله سبحانه وتعالى الذين يباشرون تنفيذ ما كان في علم الله ويصطفى الله سبحانه من الملائكة رسلاً مرسلة إلى الناس علاوة على ذلك .. وذلك بنص الآية الشريفة :

(اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) .

وكانت الملائكة رسل الله لسيدنا زكريا حيث بشرته بسيدنا يحيى وذلك بنص الآية الكريمة :

(فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ).

كما كانت الملائكة هي رسل الله سبحانه وتعالى إلى السيدة مريم لتأمرها بعبادة الله لأمر أراده جل شأنه حيث اختارها جل شأنه بما يجعلها قد اصطفت على نساء العالمين وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم:

(وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ . يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ).

ثم حملت الملائكة البشري لمريم من الله عز شأنه بأنها أم المسيح نبي الله ورسوله وذلك بالنص الكريم :

(إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ).

وبذلك فإن الملائكة إنما هم رسل الله سبحانه وتعالى سواء أكان ذلك للإشراف على تنفيذ إرادة الله أولنقل الرسالات من الله جل شأنه لعباده على الأرض ، وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ
 الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) .
 وتقرر الآية الشريفة علاوة على أن الملائكة هم رسل الله حقيقة
 أخرى وهي اختلاف قدرات الملائكة وإمكانياتهم وطاقاتهم فهم ليسوا
 على درجة واحدة أو في مستوى يتفوقون فيه .. إذ تقرر آيات القرآن
 الكريم أن هناك من الملائكة من لاتغنى شفاعتهم شيئاً بالنص الشريف :
 (وَكَمْ مِنْ مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ
 شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى) .
 كما أن هناك الملائكة الغلاظ الشداد أصحاب النار وفي ذلك تقول
 آيات القرآن الكريم :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا
 وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ
 شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) .
 وقد روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (جاء
 جبريل فقال : ما تعدون من شهر بدر فيكم ؟ قلت : خيارنا قال :
 وكذلك من شهر بدر من الملائكة هم خيار الملائكة) .
 ومن الملائكة هؤلاء الذين أنيط بهم أن يسجلوا على الإنسان عمله
 في كتاب هو سبيل الحساب يوم القيامة ودليل الأجر يوم الحساب وفي
 ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا . اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) .

وقد وصف القرآن الكريم هؤلاء الملائكة بالكرم وذلك في النص الشريف :

(وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) .

ولا يمكن أن يتخيل الإنسان بفكره المحدود وعقله المحدود مهما اتسع به الخيال وسرح به الفكر قدر كرم هؤلاء الملائكة بعد أن أطلق عليهم القرآن الكريم هذه الصفة .. فإلى أى حد يصل كرم هؤلاء الصنفوة المختارة من الملائكة لعمل من أخطر وأدق ما يمكن أن تقوم به الملائكة .. مراقبة الإنسان وتسجيل أعماله وهم يعلمون أنه بناء على ما يكتبون سيكون الإنسان في آخرته .. فهل كرم هؤلاء الملائكة يقف عند حد محاولة تبصرة الإنسان بسوء ما هو مقبل عليه إذا اتجه إلى الشر وإغرائه بكافة الوسائل على عمل الخير ؟ . أم أن من صور كرمهم أن الإنسان إذا انتوى عمل خير سارعت الملائكة فكتبته خيراً ليكون للإنسان جزاء النية الحسنة .. فإذا هم بعماله سجلته ليجازى على ذلك وإذا فعله أفردت له صفحات طوالاً حيث تتبع الحسنة أينما اتجهت إلى أن تصل إلى أبعد حد وإلى أقصى مكان وإلى كل من

استفاد به استفادة مباشرة أو غير مباشرة .. فقد يتصدق الإنسان بصدقة بسيطة تعين مريضاً على الشفاء فتكتب الملائكة هذه الصدقة .. وكلما أصاب هذا المريض الخير بعد شفائه فإن للصدقة التي ساعدت على شفائه أجر عمل كل خير يقوم به وكذلك مع كل من أنجب .. وقد يقوم الإنسان بعمل حسن .. مهما كان قدره .. فتكتب الملائكة عمله .. وقد يستحسنه غيره فيقوم به .. فله أجره على ذلك فإنه قد سن سنة حسنة له أجراها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة .. وهكذا تظل الملائكة جاهدة للتقصي وتعقب الحسنة فإنهم يعلمون ما نفع .. وأما إذا هم الإنسان بعمل سيئة .. ارتقبته الملائكة الكرام حتى يرجع عنها ولا يرتكبها وبذلك ينتصر الإنسان على شيطانه .. فهل تتخذها الملائكة الكرام السبيل لتسجل حسنة له على مخالفته شيطانه وعدوله عن الذنب .. وأما إذا ارتكب الخطأ .. فهل من كرم هؤلاء الملائكة أنها تنتظر حتى يندم الإنسان عليه ويتوب عنه ويستغفر الله منه .. فتسجل الخطأ مقروناً بالتوبة والندم والاستغفار ولتكون التوبة مع ما يقوم به مستقبلاً من عمل صالح كإعداد له لأن يكون من ضمن من يبدل الله سيئاتهم حسنات وذلك كما جاء في النص الكريم :

(إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)
وقد يكون كرم هؤلاء الكتبة من الملائكة في صور أخرى ..

وبطرق غير ذلك .. فالله وحده أعلم بالقدر والصورة التي جعلهم سبحانه وتعالى بها كراماً .

وأيا كان عدد درجات الملائكة وقدر الاختلاف بينها والتفاوت في منازلها فلعل أعلى درجة فيهم وأفضل منزلة بينهم هم الملائكة الخافون حول العرش إذ أنهم أقرب إلى صاحب العرش سبحانه وتعالى ولذلك فإنهم في تسبيح بحمد الله على هذا القرب أولاً وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ
يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

وقد يكون هؤلاء الملائكة هم الذين يحملون عرش الله يوم القيامة وقد يكون غيرهم هم من وعدوا بهذا النعيم ويقول عنهم القرآن الكريم :
(فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ . وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ
وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً . فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ .
وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ . وَالْمَلَكُ عَلَى
أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) .

أما الملائكة الذين لا عمل إلا التسبيح بحمد الله والسجود له جل شأنه فالله أعلم بموقعهم بين الملائكة وعدد هؤلاء الملائكة أبعد من

التصور وفوق التخیل فان السموات لاتسع لمزيد منهم وفيهم تقول
آيات القرآن الكريم :

(تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ
يَسْبُحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ
أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) .

ويقول عنهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (أظت السماء
وحق لها أن تنشط ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد أوراك) .
ويتزايد عدد الملائكة وعلى الأقل هؤلاء الذين يوكل إليهم
الحفاظ على الإنسان ورفع شر الشياطين عنه لمواجهة الزيادة المستمرة
في عدد البشر .. ولا يعرف الإنسان يقينا كيف تتزايد الملائكة فإنهم
لا يتناسلون حيث إن ما ورد في آيات القرآن الكريم إنما يشير إلى أنهم
من جنس واحد وليس بينهم الذكر والأنثى .. ولما كانت الملائكة
إنما هي أجسام نورانية فلعل زيادة طاقة نورها يكون ناتجة انفصال
أجزاء منها تصبح ملائكة وبالتالي يتزايد عدد الملائكة ولعل ما يسبب
زيادة طاقة النور هو كثرة الاستغفار والتسبيح من الملائكة فتتكاثر
من نفسها وبنفسها أو بكثرة استغفار الإنسان وزيادة تسبيحه فترتفع
طاقة ملائكته بذلك وتتكاثر .. وعلى هذا تتزايد ملائكة الإنسان الطيبة
الصالحة وهو ما يشاهده يقيناً بالبصيرة إذ أن الإنسان كلما استغرق
في استغفاره وتسبيحه كلما أحس بالرغبة القوية في الاستمرار بل

والاستزادة والتعمق وكلما شعر بالنور يزداد ليغمر داخله والسعادة تنتشر لتملأ نفسه وكلما أحس بالعون ينبعث من قلبه .. والمدد يفيض حوله . . ولعلها دليل زيادة ملائكته أو على الأقل الملائكة من حوله .. وقد يكون التزايد عن الطريقتين استغفار الملائكة وتسابيحهم يتزايد بها عددهم حيث تواجه هذه الزيادة الكثرة العددية والزيادة في البشر واستغفار الإنسان وتسييحه يتزايد به ملائكته التي تعاونه وتساعدته وترشده وتحافظ عليه .. وبذلك يكون الاستغفار والتسابيح وكأنها الغذاء للملائكة بها تنمو .. وبها تتكاثر .. وبها تتزايد .

وقد تشكل الملائكة لتظهر بغير صورتها الحقيقية لبعض الخاصة من عباد الله وأيا كانت التشكلات التي تظهر بها فعلى صورة جميلة وطيبة وغالباً ما ظهرت الملائكة في صورة رجال على مستوى ملحوظ من جمال الصورة وإشراق الوجه .. إلا أن هذه الأجساد التي تشكل فيها تغاير طبيعتها الأجسام الإنسانية فلا تأكل ولا تشرب .. وقد ظهرت الملائكة لسيدنا إبراهيم عليه السلام على هذه الهيئة حتى أنهم عندما خاطبوه وتحدث معهم لم يشك لحظة في أنهم من البشر فأعد لهم الطعام إلا أنه عندما رأى أن أيديهم لاتصل إلى الطعام ولا تمسك به لأنها ليست كاملة المادية تيقن أنهم ليسوا من البشر ودب فيه الخوف منهم وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا
سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ .

فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ .

وهكذا أيضاً ظهروا لنبي الله لوط ، وكانوا على هيئة البشر ولقد ساءه مجيئهم وضاق صدره بهم إذ اعتقد أنهم من قومه الذين يريدون أن يوقعوا به وبمن اتبعه وبأهله الضرر إلى أن خاطبوه وأبلغوه أنهم رسل الله إليه وأن قومه الذين يريدون الاعتداء عليه لن يصلوا إليه وطلبوا منه أن يخرج هو وأهله من هذه المدينة حيث أمر الله بأن تهدم المدينة على من فيها وتقلب رأساً على عقب وذلك بنص آيات القرآن الكريم :

(وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) . (قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ) .

ولقد رأى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا جبريل في صورة دحية الكلبي أحياناً .. وأخرى في صورة رجل آخر وقد قال

صلى الله عليه وسلم عن كيفيات الوحي (وأحياناً يتمثل لى الملك رجلاً فيكلمنى فأعنى ما يقول) وراه غيره معه على صورة بشر . فقد روى عن عمر ابن الخطاب أنه قال (بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد . حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد : أخبرنى عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً) فقال : صدقت . فعجبنا له يسأله ويصدقه قال : فأخبرنى عن الإيمان قال : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) قال : صدقت . قال : فأخبرنى عن الإحسان . قال : (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) قال : فأخبرنى عن الساعة . قال : (ما المسئول عنها بأعلم من السائل) قال فأخبرنى عن أماراتها قال : (أن تلد الأمة ربتهما وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاء يتطاولون فى البنيان) قال : ثم انطلق فلبثت ملياً ثم قال لى : (يا عمر ، أتدرى من السائل) ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه جبريل آتاكم يعلمكم دينكم)

وقد يرى الإنسان الملائكة دون غيره من الناس فقد ورد عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : (كنت مع أبي

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده رجل ينجيه فكان كالمعرض
عن أبي فخرجنا من عنده فقال لي أبي : أي بني ألم تر إلى ابن عمك
كالمعرض عني ؟ فقلت يا أبت إنه كان عنده رجل ينجيه . قال :
فرجعنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبي : يا رسول الله قلت
لعبد الله كذا وكذا فأخبرني أنه كان عندك رجل ينجيك فهل كان
عندك أحد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهل رأيته يا عبد
الله ؟ قال : قلت : نعم .. قال (فإن ذلك جبريل وهو الذي شغلني عنك)

فقد رأى عبد الله جبريل على هيئة رجل بينما لم يستطع أبوه عباس
أن يراه رغم أنهما كانا معاً . ومما يؤكد أن الملائكة يراهم بعض الناس
دون البعض أن عائشة رضى الله عنها قالت :

(إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها : يا عائشة هذا جبريل
يقرأ عليك السلام فقالت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته . ترى
مالا أرى) تريد أن النبي صلى الله عليه وسلم يرى جبريل ولا تراه هي ..
وتتمثل الملائكة في صور بشرية عادية وتلقى بعض الناس لحكمة
وهدف فقد روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال (قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : إن ثلاثة من بني إسرائيل : أبرص وأقرع
وأعمى أراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال أي
شيء أحب إليك ؟ قال : لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي
قذرني الناس . فمسحه فذهب عنه قذره وأعطى لوناً حسناً وجلداً
حسناً ثم قال : أي المال أحب إليك ؟ قال : الإبل . فأعطاه ناقة عشراء
وقال بارك الله لك فيها . ثم أتى الأقرع فقال أي شيء أحب إليك

قال شعر حسن يذهب عني هذا الذي قد قدرني الناس فسمحه فذهب عنه وأعطى شعراً حسناً ، ثم قال فأى المال أحب إليك ؟ قال : البقر . فأعطى بقرة حاملاً . وقال بارك الله لك فيها . ثم أتى الأعمى فقال أى شيء أحب إليك ؟ قال : أن يرد الله على بصرى فأبصر به الناس فسمحه ، فرد الله عليه بصره . ثم قال : فأى المال أحب إليك ؟ قال الغنم : فأعطى شاة والدته فأنجب هذان وولد هذا فكان لهذا دار من الإبل ولهذا دار من البقر ولهذا دار من الغنم . ثم إن الملك أتى الأبرص في صورته وهيئته التي كان عليها يوم لقيهم (فقال : رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفرى فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال .. بعيراً أتبلغ به في سفرى فقال له : الحقوق كثيرة .. فقال له كأنى أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله ؟ فقال : إنما ورثت المال كابرأ عن كابر ؟ فقال : إن كنت كاذباً صيرك الله إلى ما كنت . وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ذلك ورد عليه مثل ما رد الأول ؟ فقال : إن كنت كاذباً صيرك الله إلى ما كنت . ثم أتى الأعمى في صورته وهيئته فقال له : رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت بي الحبال في سفرى فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك . أسألك بالذي رد عليك بصرى .. شاة أتبلغ بها في سفرى فقال : قد كنت أعمى فرد الله على بصرى وفقيراً فأغنانى . فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجهد اليوم بشيء أخذته لله فقال أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضى الله عنك وسمخط على صاحبك) .

غير أن كل إنسان لابد له من رؤية الملائكة وذلك في لحظات انتقاله إلى الحياة الأخرى .. إذ يرى الملائكة ببصره وبصيرته .. يراهم رؤية العين ويحس بالرؤية من داخله .. وتظل الملائكة معه طوال لحظات انتقاله . فكما تبدأ الملائكة عملها مع الإنسان في اللحظات الأولى التي يتقرر فيها تكوين نطفته وكما تستمر في رعايتها له والعناية به طول مدة تكوينه في الرحم .. وكما تيسر له طريق الخروج إلى الدنيا وتلقاه على أول عتبات الدنيا فإنها كذلك تقوم بمساعدته عند انتقاله إلى الحياة الأخرى ليتم مولده إلى الحياة الثانية بسهولة ويسر فإن الرحمة التي يفيض الله سبحانه وتعالى بها على عباده في مولدهم تستمر وتتضاعف حتى تشملهم في مماتهم ، وتظل تغمرهم بعد موتهم كما كانت تحيطهم قبل مولدهم .. كما أن الملائكة تحاول أن تبصر المنتقل إلى الحياة الأخرى بما هو مقبل عليه وتعمل على تنشيطه ومساعدته في التعرف على الجو الذي أصبح فيه .. وتحاول جاهدة أن تحشد معها كل أحبته من الأهل والأقارب والأصحاب الذين سبقوه حتى يأتنس بمشاهدتهم .. ويطمئن ببقائهم .. ولذلك فإنه من المشاهد المألوفة على المختصرين أنهم في لحظات انتقالهم تعلق وجوه المؤمنين منهم بالله واليوم الآخر والملائكة ابتسامة السعادة وإشراقة النعيم .. فقد قامت الملائكة بتيسير الأمر وتبسيط الانتقال وحملت له البشارات وأبلغته بما هو مقبل عليه من سعادة ونعيم .. ويقول القرآن الكريم بالنسبة للانتقال النص الشريف :

(قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ
ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) .

وهكذا يتقرر أن لكل إنسان ما كرهه الذي يتوفاه وهو ما وكل به
وأما ما تقوم به الملائكة في لحظات الاحتضار وما بعدها فتقرره الآية الكريمة :

(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ).

وأما هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بما جاءهم ولم يؤمنوا
به فإنه يصيبهم الفزع والاضطراب حيث لا يعرفون ما هم فيه ..
ولم يكونوا يؤمنون بما هم مقبلون عليه .. ومن الطبيعي أن الملائكة وهم
رسل الله للناس الذين آمنوا بالله سبحانه وتعالى إيماناً كاملاً وتاماً
وعميماً قد استجابوا لما أمرهم به من خدمة الإنسان وبذل الكثير
من الجهد طوال حياته منذ لحظة بداية تكوينه حتى مماته .. وبالرغم من
أدلة الإيمان وعلامات التوحيد ووضوح دور الملائكة معه وإرسال
الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم خاتم الرسل والنبيين برسائله الكبرى
والأخيرة فيها الآيات البيانات والدلالات الواضحات فإن من الناس
من يظلم نفسه بل ويظلم النوع الإنساني كله بكفره .. بالنور
الواضح الذي يراه كل أعمى .. فإنا بالبصير .. بكفره بالحق ..
وهو جلي لا يحتاج إلى بيان أو دليل .. فن الطبيعي أن ينال الملائكة
الغضب والأسف والحزن .. ولذلك فإن الظالمين عندما تتوفاهم
الملائكة ويستسلمون لهم بعد أن كفروا بمحاولون التحلل مما عملوا
وينكرون سوء أعمالهم وفي ذلك يقول القرآن الكريم :

(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ

فَأَلْقُوا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ .

إلا أن الملائكة تبلغهم أسوأ ما يمكن أن يسمعه إنسان والعياذ بالله إذ تقول بالنص الشريف :

(فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَشْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) .

وتقرر لهم الملائكة أن عذابهم يبدأ منذ لحظة انتقالهم هذه وذلك بالنص الكريم :

(وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ) .

بل إن الملائكة تصب عليهم في هذه اللحظات جام غضبهم فيضربونهم ضرباً شديداً من كل جهة: من أمامهم ومن خلفهم ويتوعدونهم عذاباً أشد .. عذاب الحريق في جهنم وبئس المصير وذلك بنص الآيات الشريفة :

(وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) .

ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ
لِّلْعَبِيدِ .

وتستمر صلة الملائكة بالإنسان حتى بعد موته.. ويوم القيامة لها
معه شأن وأى شأن بل كل الشأن.. فإنها تتلقى الصالحين منهم تغبطهم
على ما هم فيه وتسعدهم ببيان حقيقة ما هم عليه في يومهم الذى كانوا
يوعدون به وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) .

أما من استحق العذاب ولم يعمل ليوم الحساب فإن الملائكة لها معه
عمل وأى عمل.. إنها تؤدى ما أمرها الله به مع كل ظالم لنفسه أو غيره..
إذ تأخذه بقسوة وتضع الأغلال فى عنقه وتسجبه إلى النار وبالسلاسل
الطويلة تقيدته .. عذاب فى عذاب .. وذلك بنص الآيات الشريفة :
(خُذُوهُ فَغُلُّوهُ . ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ . ثُمَّ

فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ) .

وأما من دخل الجنة بطاعة الله سبحانه وتعالى وحسن عماله فى
الدنيا ومعه من صلح من آبائه وأزواجهم وذرياتهم فإن الملائكة
تستمر فى إكرامهم حيث توالى السلام عليهم وتحياتهم ويدخلون
عليهم من أبواب الجنة العديدة زيادة فى الإمتاع وتزييداً للتحية والسلام
حيث تقول آيات القرآن الكريم :

(وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ
بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ . جَنَّاتُ
عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِن آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ
وُذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ .
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) .

هذه هى بعض أعمال الملائكة التى تقوم بها مساعدة للإنسان
ومحبة له وحفاظاً عليه .. ولا يقتصر عمل الملائكة مع الإنسان على
تلك التى توكل به وتخصص له .. بل إن الملائكة عامة بما جبلت
عليه من خير وتميزت به من كرم وما غرس فيها من فضل وماهى
عليه من نور تبدله لمن حولها ومن تسعى إليه أويسعى إليها لتحاول
جاهدة وبكل الوسائل مساعدة الناس جميعاً ومن ذلك ما تقوم به
من دعاء الله سبحانه وتعالى ليخرج عباده من ظلمات الكفر والجهل ..
إلى نور الإيمان والعلم .. ومن ظلمات الحياة الدنيا إلى نور الآخرة
وذلك بنص الآيات الشريفة من القرآن الكريم :

(هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) .
كما أنها تصلى وتدعو للنبي صلى الله عليه وسلم محبة له ودعوة للناس لأن تصلى عليه وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) .

وما أروع ما تقوم به أكثر الملائكة قرباً من الله سبحانه وتعالى إذ تعلم حملة العرش الكريم ومن حوله أنهم في هذا الموقف أكثر استجابة للدعاء وأكبر أملاً في الرجاء فلا تنجيه إلى الله إلا بالتسبيح والحمد والإيمان والاستغفار لعباده والدعاء لهم وما أفضل دعائهم .. المغفرة والجنة للعباد يدخلونها مع أهلهم .. ووقايتهم من كل السيئات ونص الدعاء كما جاء في القرآن الكريم :

(الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ . رَبَّنَا

وَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ
آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .
وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ
وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) .

صدق الله العظيم

الشعب

مؤسسة دار
٩٢ شارع تيسر المين بالتاهرة
تليفون ٣١٨١٠

to: www.al-mostafa.com

to: www.al-mostafa.com

تحت الطبع

• الأُمِّ

للإمام الشافعي رضي الله عنه

• التفصيل والحياكة

بشينة الكفراوي

• أفعال الصوف

بشينة الكفر اوى

• **حرب الأيام الستة**

المدرستين جمال الدين الرمادي

● انتصارات عربية خالدة

للرستاد السيد فرج

• **أبناء الرسول في كربلاء** (طبعة ثانية)

للإستاذ خاليد محمد خاليد

Biblioteca Alexandra



024021

أخذ
في
ال

التصدير
عن

المشعب

مؤسسة صحفية عربية

مطبوعات
دار الشعب

الإدارة : ٩٢ شارع قصر العيني بالقاهرة . ت - ٣١٨١ •

التوزيع : الرachel - قوت مع الأخبار وفردي
الحادي عشر : وكانت : راية الحرة ١٥ من صفر ١٤٠٢ هـ

21

الاثنين } ۱۱ رمضان ۱۳۸۸
۲ ديسمبر ۱۹۶۸

To: www.al-mostafa.com